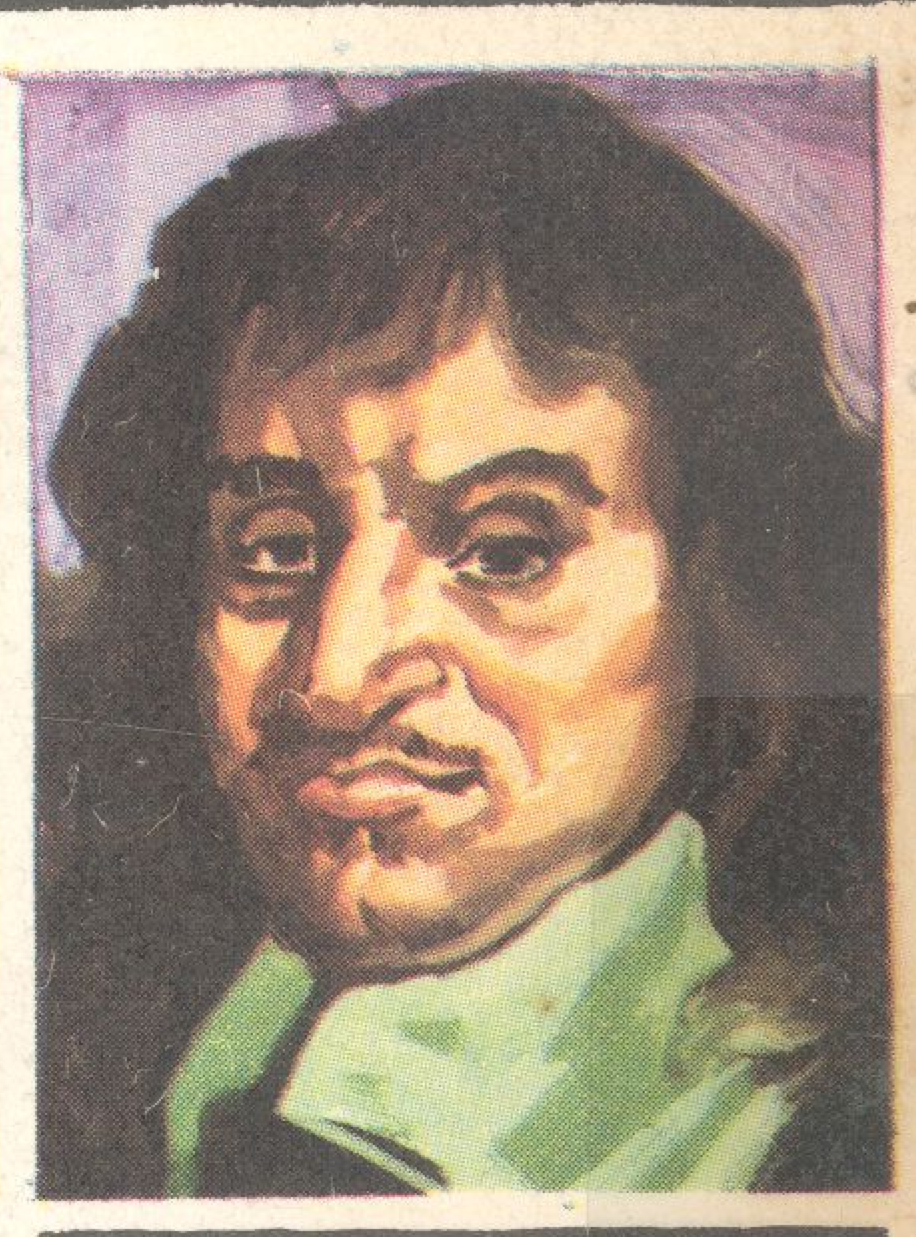
كتاب الهلال



سلسلة
ثقافية
شهرية

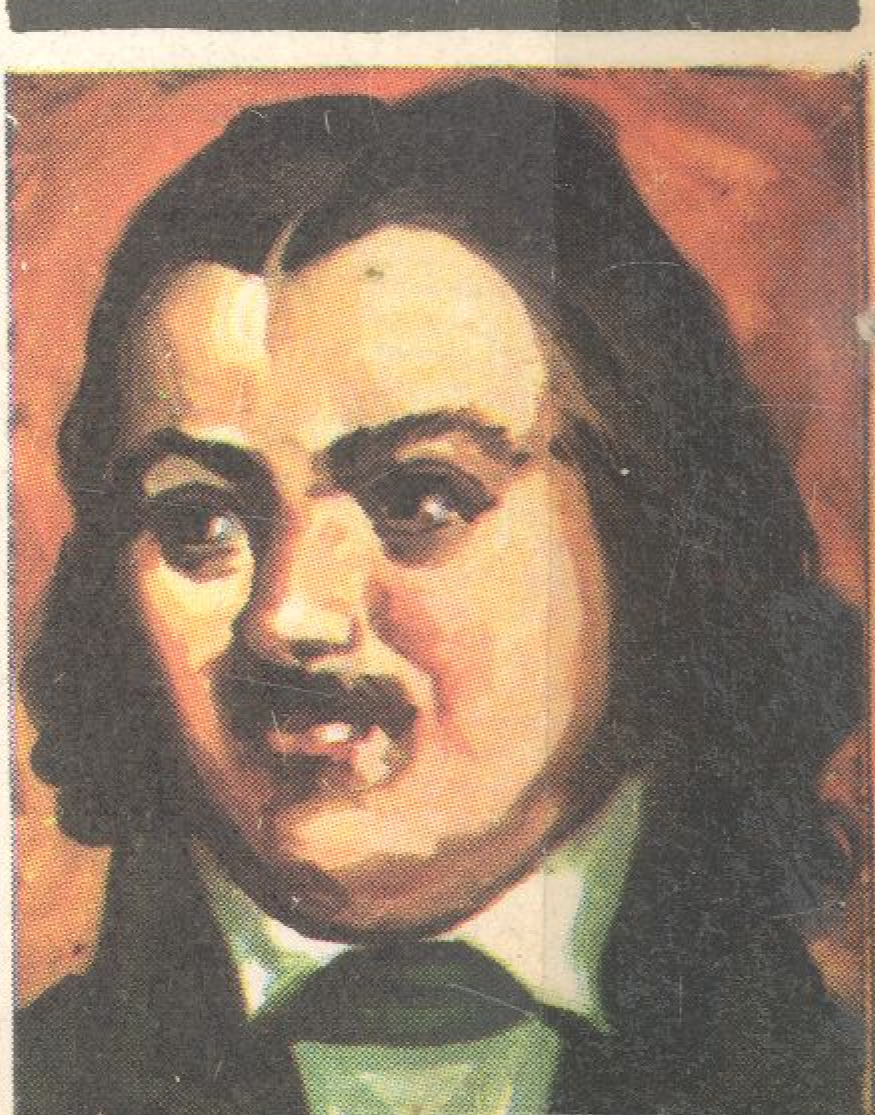
# روائع الفكر العالمى

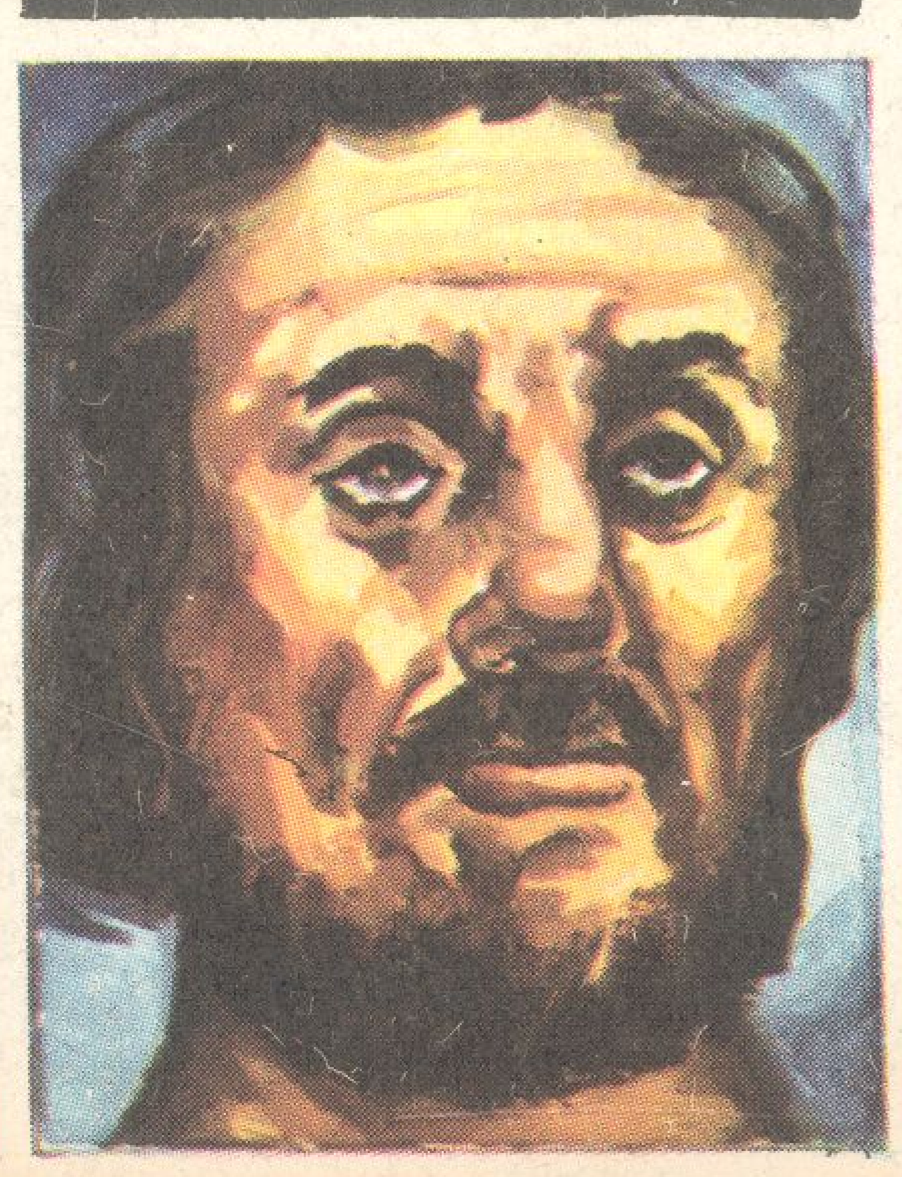
محمود مسعود

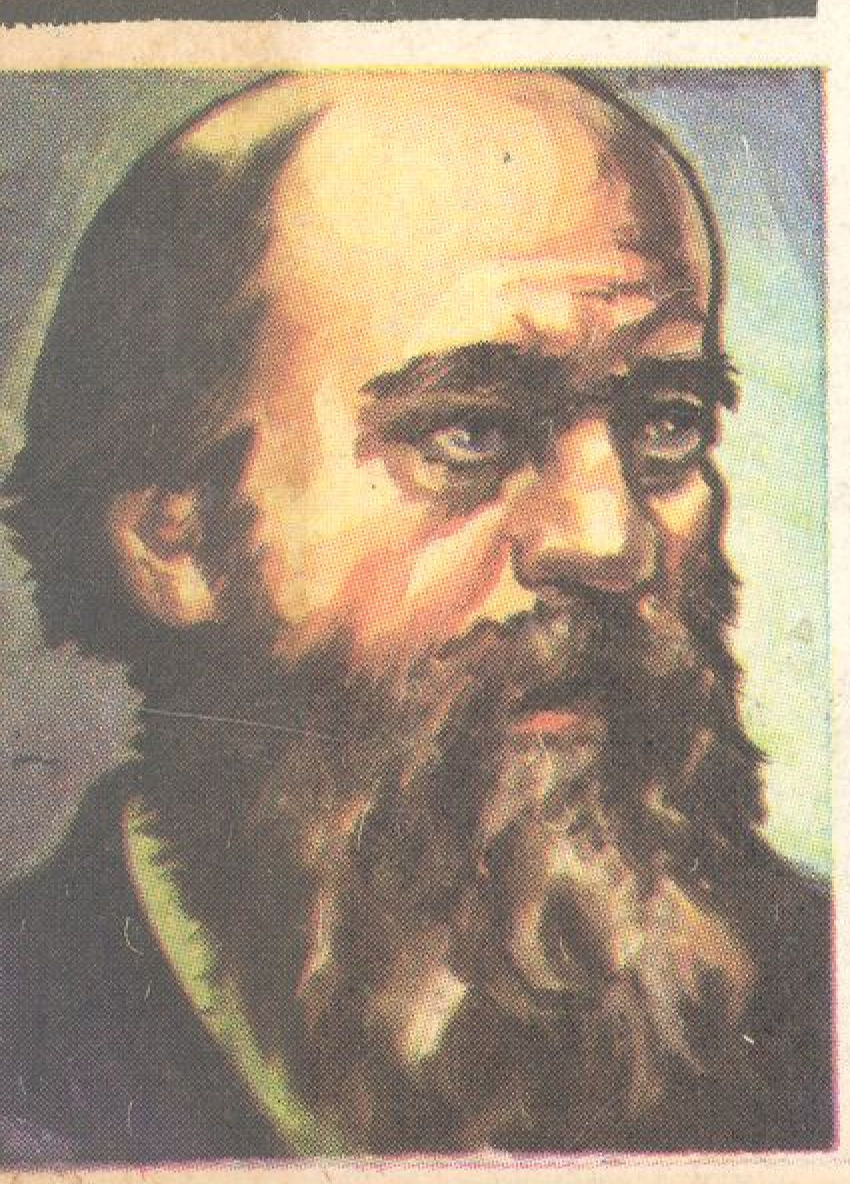












# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL
سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »



العدد ٣٣٩ – ربيع الثانى ١٣٩٩ – مارس ١٩٧٩
No. 339 — March 1979

مركز الادارة
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

# كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشة
الفنانة سميحة حسنين

# روائع الفكر العالمى

●

ترجمة

**محمود مسعود**

●

دار الهلال

# مقدمة

ان قضية انصراف الشباب عن القراءة الجادة هي في الحق قضية قومية ينبغي أن يساهم فيها جميع المعنيين في دوائر التعليم والثقافة والصحافة والنشر والأسرة بالجهود والحلول العملية التي يمكن أن تؤدي دورها في تعميق روح القراءة عند الشباب وتوجيههم التوجيه السليم . ولقد انعقد شبه اجماع على أن من أهم أسباب هذا الانصراف هي أساليب التعليم في كافة مراحله تلك التي تركز على كتب المقررات والمناهج ولا تكاد تعنى بالكتب والمواد التثقيفية الأخرى ، تفرغا للنجاح في الامتحانات والفوز بالشهادات العامة والجامعية ثم بالوظيفة حكومية أو غير حكومية ، مما اثمر كله ـ مقترنا بالاعتراض عن القراءة الجادة في نطاق الأسرة ذاتها والمجتمع الخارجي تقريبا ـ هذا الاسترخاء الفكري الذي جعل الكتاب في غربة شبه تامة حتى كانت هذه الظاهرة الخطيرة المؤثرة ولا شك في حياة الجيل الحالي والأجيال القادمة من الشباب ، فضلا عن تأثير الأمية الفاشية . وقد تضافرت على ذلك عوامل كثيرة لعل ابرزها ظروف حياتنا القريبة سياسية واقتصادية واجتماعية وما صاحبها من انصراف جماعي الى ما يعد عند السواد الأكبر اهتماما أوجب

بأساسيات الحياة وضرورات العيش ، ثم فتور حركة نشر الكتب الجادة وغلاء أسعار الكتاب لأسباب اقتصادية وغير اقتصادية ، فضلا عن مغريات التليفزيون والاذاعة والسينما وموجة الانحلال العصرى واللامبالاه السائدة ، فكان تحالف هذه العوامل جميعا هو الذى أدى الى نكسة فكرية خطيرة فى حياة الشباب العقلية نريد له أن يبرأ منها .

وقد كان من الطبيعى أن يرى المعنيون بأمور الفكر والثقافة ان العلاج الأمثل انما هو السعى لغرس ملكة القراءة لدى النشء والشباب فى مراحل التعليم جميعا ، بتوثيق الروابط الفكرية بين المربين وبينهم على امتداد هذه المراحل ، والعناية الصحيحة بالمكتبات المدرسية والجامعية طبقا للأساليب الحديثة تأصيلا لنزعة القراءة فى نفوسهم ، مع بذل عناية مماثلة فى دوائر الأسرة لكى يشبوا متألقين للقراءة والتزود من المعرفة بنصيب موفور .

واذا كان الأخذ بهذا العلاج سوف يستغرق جهودا ووقتا ، فينبغى ألا يضن المعنيون بشئون التعليم والثقافة بشيء فى رسم السياسة الطويلة المدى لتحقيق هذا الهدف الكبير حتى ينشأ الجيل الجديد مطبوعا على حب القراءة وحتى يخرج الى الحياة العامة مزودا بما يؤهله لأداء رسالته الفردية والقومية بنجاح أوثق .

لكن ماذا عن الجيل الحالى من شبابنا المنصرف عن القراءة ، وكيف السبيل الى جذب اهتمامه بالقراءة والمعرفة على نحو جدى أكيد ؟ في يقينى انه اذا كان العلاج الطويل المدى سوف يستغرق وقته ولن تظهر آثاره البارزة الا فى الجيل الناشىء ، فليس من العدل ولا من السداد ترك الجيل الحالى يمضي فى اعراضه الماثل

محروما من محاولات سريعة جادة لربطه بموكب التقدم الفكري والثقافي . ولعل ابرز ما يعين على ذلك وسليتان :

الأولى ـ تقديم الكتاب النافع فى شتى فروع المعرفة بثمن مقبول .

الثانية ـ تعاون دور النشر العامة والخاصة والمؤسسات الصحفية فى تنفيذ خطة جماعية لنشر الكتب على النطاق الشعبى الذى يجعل المادة المقروءة الصالحة فى متناول الشباب خاصة وسواد القارئين عامة ، قياسا على ما تفعله دور النشر العالمية من نشر امهات الكتب فى طبعات رخيصة ، ولا سيما كتب عباقرة الفكر الانسانى الذين قال جونسون أنهم « أكبر المثقفين لعقولنا » ، وكما قال تشاننج ان « فى الكتب العظيمة عباقرة يخاطبوننا ويزودوننا بأثمن أفكارهم ويصبون فى أرواحنا أرواحهم » .

واذا كنا صادقى العزم فى سعينا لتثقيف شباب هذا الجيل ، فليس من المستحيل أو المتعذر عقد مؤتمر من دور النشر والمؤسسات الصحفية لدراسة خطة قومية لنشر الكتب بكل تفصيلاتها التخطيطية والتنفيذية بما يؤدي الى نشر الكتب التثقيفية المختارة على نطاق دورى واسع يسد الفراغ الحالى ويقدم للقارىء الشاب وغيره زادا فكريا فى حدود مستطاعه المادى . ولو عقد مثل هذا المؤتمر برعاية واشتراك الهيئات الرسمية من معاونة مادية ومعنوية لا شك ان سيكون لها آثارها المنشودة فى تذليل المصاعب التى لابد منها فى مثل هذا العمل القومي الضخم .

***

والي أن يتم هذا وذاك أو سواه من وسائل العلاج

لأزمة القراءة وانصراف الشباب عنها ، فقد شرع مفكر اديب هو رئيس تحرير هذا الـكتاب الشهرى وغيره من شهريات دار الهـــلال فى اتخاذ خطوة عملية لامداد الشباب بلون من الزاد الفـــكرى يفتح له نافـذة على الثقافة العالمية التى نشعر بها جميعا بالحاجة اليها الى جانب ثقافتنا العربية ، فشجع على ترجمة واصدار هذا الكتاب الذى يضم مقتطفات شاملة من أكثر من أربعين كتابا من أمهات الـكتب العالمية لأعلام الفـكر الانسانى ممن خلدت أســماؤهم فى تاريخ البشرية وممن تعتز بتراثهم فى كل العهود والعصور وممن نقلت كتبهم الى كافة اللغات العـالمية وممن تعد مؤلفـاتهم من القواعد الأساسية التى قام عليها الفكر المتحضر . وكل ما نرجو هو أن تكون هذه الخطـوة العملية استئنافا واستكمالا لخطا سابقة فى مجـال نقل التراث العـــالمى الى العربية وتقديمه بأيسر صورة ممكنة الى شباب طال انقطاعه عن الانتهال من الموارد الثقـــافية بحكم ظروف كثيرة يكاد لا يكون له ذنب فيها وحده ، ومن الحق علينا أن نعوضه عما فاته اضطرارا أو تراخيا بمثل هذا العمل الماثل الذى لن يشق على الشباب مقابلته بما يستحق من اقبال ، تبرئة لســـاحته من تلك الظروف التى كانت أقوى من طاقته وهو بعـد كل شيء وليـد المجتمع ذاته والمتأثر بمؤثراته والمصطبغ بصبغته .

فهل يـكون للشباب عذر اذا توانى بعـد ذلك عن الاستجابة لهذه البادرة وما نرجو أن يتلوها من بوادر مماثلة سواء فى هـذه الدار أو غيرها من دور النشر والمؤسسات الصحفية على الوجه الذى اقترحناه فى هذه العجالة ؟ واذا كانت الشكوى متصاعدة فى كل مكان من

ان من أكبر معوقات اقتناء الكتب الجادة سواء للشباب أو لغيرهم من المتطلعين الى المعرفة والثقافة هو غلاء أثمانها أضعافا مضاعفة خصوصا فى الآونة الحاضرة . فما عذر من يعتذر وبين أيدينا هذا الزاد الثقافى يقدم بثمن بخس قروش معدودات ؟ انني لا أملك هنا الا أن أورد قولة أرازموس الرائعة : « اذا كانت عندى نقود قليلة اشتريت بها كتابا ، واذا بقى منها شيء اشتريت طعاما وملابس » .

فالبدار الى التنفيذ من جانب المسئولين عن النشر فى كافة الميادين ، والبدار الى الاستجابة من جانب شبابنا الذى هو معقد الآمال فى كل الظروف والأحوال .

والله الموفق .

**محمود مسعود**

# من كتاب : ملحمة الأوديسة

**للشاعر هوميروس**

## قتل المغوين

عندئذ نضا أوديسيوس ذو الخطط الكثيرة عنه أسماله ووثب الى العتبة الكبيرة ومعه قوســـه وجعبته مليئة بالسهام وألقى برماحه الخاطفة تحت قدميه وأنشأ يقول للمغوين :

« أنظروا ! الآن هذه نهاية المحنة الفظيعة أخيرا . والآن سوف أسدد الى هدف آخر لم يسدد اليه أحد من قبل أبدا اذا تصادف أن وفقت فى الاصـابة ومنحنى أبوللو الشهرة » .

وعلى الأثر سدد السهم الذريع الى أنتينوس ، وكان يوشك أن يرفع الى شفتيه كأسا ذا مقبضين من ذهب ، وانظر اليه وهو يعالجه ليشرب من خمره ، والموت بعيد عن تفكيره . فمن ذا الذى يمكن أن تقـــدر بين رجال مجتمعين فى وليمة ان رجلا فى هذا الجمع الكبير يمكن مهما يبلغ من شـــدة بأسه أن يجلب على نفسه موتا مستطيرا ومصـــيرا حالكا ؟ لكن أوديسيوس سدد اليه ورماه بالسهم فى حلقه ، فنفـذ رأس السهم من صميم رقبته الرقيقة ، فهوى الى الخلف وسقطت الكأس من يده ، وسرعان ما انبجس من خياشيمه دفق كثيف من دم رجل صريع ، ورفس المائدة بقـدميه فبعثر الطعام على الأرض واختلط الخبز بالشواء وتلوث كل شيء ،

وعلى الأثر دوت القـاعات بأصوات المغوين الصاخبة الغاضبة حين أبصروا الرجل صريعا ، وانتفضوا قائمين عن مقاعدهم العالية كرجال مدفوعين بعامل الخوف ، فى كل أرجاء القاعة ، متجهين بأبصـــارهم الى كل موضع على امتــداد الجدران الحصينة ، دون أن يجدوا فى متناول أيديهم درعا واقية او رمحا قويا . ثم انشأوا يسبون أوديسيوس بألفاظ غاضبة :

« أيها الغريب . لقد أتيت أمرا نكرا باطلاق سهامك على الرجال . الآن لن تدخل أبدا حلبة أخرى للنزال لأن هلاكك بات محققا . نعم . سوف يكون هذا مصيرك بعد أن قتلت رجلا كان زينة شباب ( ايثاكا ) وفخر نبلائهم . ولسوف تلتهمك الجوارح ها هنا على الأثر » .

هكذا تكلم كل واحد منهم ، لأنهم ظنـــوا حقـــا أن أوديسيوس لم يقتله عن عمــــد . لكنهم لم يعلموا فى حماقتهم ان حلقات الموت قد أحكم وثاقهـــا حـــول رءوسهم جميعا ، فردا فردا .

ثم انبرى لهم أوديسيوس ذو الخطط الكثيرة عابسا ، يقول :

« يا كلاب . قلتم فى انفسكم أننى لن أعود أبدا الى دارى من أرض طروادة ، بعـــد أن أفسدتم بيتى ، وعابثتم الخادمات بالقوة ، وحاولتم اغواء زوجتى خيانة وغدرا وأنا ما زلت حيا ، ولم يكن فى قلوبكم خوف من الآلهة ، التى ترفع السماء الواسعة ، ولا من غضب الرجال فى المستقبل . أما الآن فان الموت قد أحكم حلقاته حولكم جماعة وأفرادا » .

وفي كلامه هذا أنشب الخوف أنيابه فيهم جميعـــا ،

وراح كل منهم يدير النظر حواليه التماسا لما يدرأ عنه الهلاك المحقق . وتولى يوريماكوس وحده الرد عليه ، قائلا :

« ان كنت أنت حقا أوديسيوس وليد ايثاكا الذى عاد الى بيته مرة أخرى ، وكنت تقول الحق عن تلك الأفعال المجيدة التى فعلتها عند الآخيين فى ديارهم وحلبات نزالهم ، فاننى أقول لك ان الملوم عما وقع يرقد الآن ميتا ، وهو أنتينوس . فهو الذى جلب علينا كل هذا ، لا لأنه كان مشتاقا الى ذلك الزواج كل الاشتياق ، ولا لأنه كان بحاجة ملحة اليه ، ولكن لغرض آخر ، لم يحققه كرونيون له ، وهو أن يصبح هو نفسه ملكا على كل أرض ايثاكا المستقرة ، وفى هذا ظل يتربص بابنك ثم قتله . أما الآن فقد لقى مصرعه جزاء وفاقا ، ولك الآن أن تبقى على ذوى عشيرتك ، وعلى نفسك . وسوف نطوف الآن بأهل المدينة ونعطيك تعويضا عن كل ما أخذ فى دارك من طعام وشراب ، كل فرد بقيمة عشرين ثورا ، ذهبا وبرونزا ، حتى ترضى نفسك ويطيب خاطرك . ولكن الى أن يتم هذا ، فلن يلومك أحد اذا غضبت » .

وعندئذ نظر اليه أوديسيوس ذو الخطط الكثيرة شزرا ، وقال :

« يوريماكوس : حتى لو أعطيتنى كل ما تملك ، الآن أو فى المستقبل ، فلن أكف يدى عن القتل ، حتى يدفع المغوون ثمن انتهاكاتهم ويكفروا عن آثامهم . والآن لكم الخيار ، فاما أن تقاتلوا فى معركة شريفة ، واما أن تركنوا الى الفرار ، ان استطاع أحدكم أن يتحاشى الموت أو ينجو من قدره المقسوم . لكن بعضكم ، فيما

يبدو لي لن يستطيعوا الافلات من هلاك محتوم » .

فما قال قولته تلك حتى تخاذلت سيقانهم وذابت قلوبهم في أحشــائهم . ثم عاد يوريماكوس الى الكلام فقــال :

« أصدقائي . واضح ان هذا الرجل لن يكف يديه اللتين لا تعرفان الهزيمه . أما الآن وقد شرع أقواسه المصقولة وجعبته العامرة . فلسوف يطلقها من مكانه عند هذه العتبة ، الى أن يذبحنا جميعا . واذن فلابد أن نعمل الفكر ونقرر قبـــــول المعركة . جردوا اذن سيوفكم ، واستعينوا بالموائد لتكون لكم دروعا واقية من سهام الموت الذريع ، ولنحمل جميعا عليه حملة رجل واحد ، ولندفع به الى الوراء ان أمكن بعيدا عن العتبة والمدخل ، ثم نذهب الى المدينة على الاثر مســتنجدين بأهلها . وبهذا لا يسدد هذا الرجل سهام جعبته الا لآخر مرة في حياته » .

وبهذا جرد سيفه الحاد البرونزي ذا النصلين ، ووثب على أوديسيوس وهو يصيح صيحة مرعبة ، ولـكن في نفس اللحظة أطلق أوديسيوس الضخم سهمه فأصابه في صدره قرب الثدي ، ثم أغمــد رمحه الخاطف في كبده . وهكذا ترك يوريماكوس السيف يسقط من يده ، وأخذ يحبــو الى المائدة الى أن تقوس على نفسه وهوى ، فأراق الشراب والطعام على الأرض . وفي سكرات النزع وحشرجة الاحتضار ضرب الأرض بجبينه وخبط بقدميه المقعد العالي ، ثم رانت على بصره غاشية الموت .

# من كتاب : تأملات

بقلم : ماركوس أورينيوس أنتونينوس

## خـــواطر

ابدأ يومك بهذه الفـــكرة : سوف التقى بالمتطفل ، وجاحد الفضل ، والمستهزئ، والحاسد ، والمتشكك . بيد ان هؤلاء الرجال هم كذلك لأنهم لا يعـــرفون كيف يفرقون بين الخير والشر . أما أنا ، الذى أوتيت القدرة على تمييز صفة الصلاح ، والتيقن من أنها صفة جميلة ، وتمييز الشر ، والتيقن من أنه بغيض ، فاننى أعرف كذلك الكينونة الحقيقية للآثم ، وانه يمت الى بصلة ، لا صلة الدم أو الجنس ، ولكنه يشـــاطرنى الذكاء والفكر ، وهو أيضا بضعة من صنع الخالق .

ما من أحد من هؤلاء الرجال يمكن أن يضرنى ، لأنه لا قدرة لأحد منهم أن يقحم على الشر الذى أمقته . فلا يســعنى اذن أن أغضب من ذوى قــرابتى . ولا أن أحقرهم . ذلك لأننا جبلنا جميعا على أن نعمل معا ؛ مثل القدمين ، واليدين ، والجفون ، وصفوف الأسنان العليا والسفلى . ولذلك فان عدم العمل معا هو اذن ضد الطبيعة . وان ذهبنا يفنط بعضنا بعضـــا ويحقر بعضنا بعضا ، كنا كمن يناضل أحدنا الآخر .

أما عن الكتب ، فاطرح جانبا تعطشك اليها ، لئـــلا تموت شاكيا متذمرا ، لكن امض فى طريقك خلى البال ،

واشكر الآلهة شكرا عميقا على ما نلت .

ولا تدع الأحداث تكدرك ولا العوامل الخارجة تستغرق أفكارك ، ولكن احتفظ بذهنك هادئا طليقا ، حتى يتوفر لك من الدعة ما تتعلم فيه شيئا طيبا ، ولتكف عن الجولان به من شيء الى آخر . وتحر أن تكون كل أفعـــالك ، وكلماتك ، وأفكارك ، في دوائر العقل والمنطق ، ما دمت قد تفارق الحياة فى أية لحظة . وهل للموت ذلك الشأن العظيم ؟ ان كانت الآلهة موجودة فلك ألا تشقى ، لأنها لن تضرك . وان لم تكن موجودة ـ أو كانت لا تحفـل بالبشر الفانين ـ اذن فان دنيا بغير آلهة أو عناية الهية لا تستحق عناء أن يعيشها الانسان .

كيف يتأتى لذلك الذى لا يمكن أن يسوى الانسان أن يجعل حياته سيئة ؟ ما كان لشيء قط أن يقنعنى بأن ( الطبيعة ) الشمولية قـد أهملت هـذه الأمور عن افتقار الى معرفة ، أو أنها مع توافر المعرفة قد أعوزتها مع ذلك القدرة لمنع الخطأ أو تصحيحه . أو أن تكون ( الطبيعة ) تقترف مثل ذلك الخطأ ، عن افتقـــار الى القـــدرة أو الدراية ، بحيث تبيح للأشياء ، طيبهـــا وشريرها ، أن تحدث على غير هدى لخيـــار الناس وأسرارهم . الا أن حياة الأحياء وموت الأموات ، وان الشرف والعار ، واللذة والألم ، والغنى والفقر ، كل أولئك أنصبة عامة مشاعة للصالحين ، والطالحين ، لأنها لا تتضمن فى طبيعتها وتكوينها المتأصل ما هو سام أو خسيس ، فهى اذن ، اذا تحرينا السداد ، لا صالحة ولا طالحة .

ان حياتنا ليست الا نقطة فى الزمن . وان أجسادنا لتسارع الى فنائها المحتوم . مدارك منطمسة وأرواح

مضطربة . المستقبل غيب . والمجد غرور . قصارى القول ان تكاليف الجسد مجرى عابر ، وتكاليف الروح حلم وضباب . والحياة ذاتها معركة ، ومقام عابر لمسافر. والشهرة اندراج النسيان . وإذن فما الذى يهدى الانسان الى سواء السبيل شيء واحد ، شيء واحد فحسب ، هو حب الحكمة . وهذا هو قوام الحكمة وملاكها ، أن نحتفظ بالروح الالهية فى صميمنا صافية بغير دنس ، سامية فوق اللذة والألم . وان نعمل على الدوام عن بصيرة ، وبساطة ، واخلاص . وألا نعتمد على غيرنا فى عمله أو توانيه . وان نتقبل كل ما ينزل بنا اذن باعتباره ناجما لنا ولاحقا بنا من حيث نجمنا نحن انفسنا . وعندما يتم كل شيء ويبلغ الكتاب اجله — فما ينبغى لنا سوى انتظار الموت بروح قريرة راضية — غير ناظرين اليه الا باعتباره رجعى الى العناصر التى خلقت منها كافة الكائنات الحية . فان لم يلم سوء بهذه العناصر فى تحولها الأبدى ، ففيم يتوجس الانسان شرا من هذا التغيير وفيم خشية من تبدد العناصر التى منها صيغ ؟ ان هذا لهو سنن ( الطبيعة ) واتساقه ، وما هو متسق مع ( الطبيعة ) ليس فيه شر ولا اذى .

ان ابقراط قد شفى أمراضا كثيرة . ولم يستطع شفاء نفسه هو . والكلدانيون كانوا يتنبأون للناس بالموت، ثم جاءهم الردى فانتزعهم بدورهم . وكل من الاسكندر، وبومبى . وقيصر ، دمروا المدائن تدميرا ذريعا ، وأهلكوا فى المعارك عشرات الألوف من جنود المشاة والفرسان ، ومع ذلك فانهم آخر المطاف ارتحلوا عن الدنيا . وهرقل، بعد طول تفكير وحدس فى حرق العالم بالنيران ، لقى حتفه بالماء فى جوفه وبالطين من حوله . والهوام هى التى

قضت على ديموقريطس ، وهوام البشر هى التى قضت
على سقراط . والدرس ، اذن ؟ لقد حللت فى السفينة،
وأبحرت بك ، ووصلت . فاهبط منها فى النهاية ! ان كان
الهبوط فى عالم آخر ، فالآلهة هناك أيضا . وان كان
الى نوم بلا أحلام ، فلسوف تتحـــرر من المسرة ومن
الألم . لن تكون بعد ذلك عبدا للجسد ، وهو خسيس
بقدر ما أن المقيد به نبيل . ان هذا لهو السداد والسمو
الربانى ؛ فى مواجهة التراب والدنس .

## من كتاب : السيرة الذاتية

**للفنان : بنيفنتو تشيلليني**

في صباح اليوم التالي لهذه الأحداث ، قمت بالخطوة الأولى في عملي للحملة الكبيرة ، مضاعفا جهدي فيها وفي غيرها من قطعي الفنية الأخرى بجد متواصل . وكان العاملون الذين يساعدونني في ذلك الحين والذين كانوا عديدين الى حد ما ، يشملون النحاتين والصائغين . وكانوا ينتمون الى عدة أمم : من ايطاليين ، وفرنسيين ، وألمان . ذلك لأنني كنت أستخدم أفضل من أعثر عليهم ، وكثيرا ما كنت أغيرهم ، محتفظا فقط بأولئك الذين كانوا يعرفون عملهم معرفة طيبة . وكنت أعتصر هذه النخبة من الفنانين في العمل وأكلفهم جهدا متواصلا . ولقد أرادوا أن يبذوني ، لكنني كنت أفضل منهم بنية . والنتيجة أنهم في عجزهم عن الصمود لهذا الجهد المتصل ، لجأوا الى الأكل والشرب بافراط . ومنهم بعض الألمان بصفة خاصة ، ممن كانوا أبرع من رفاقهم ، الذين أرادوا أن يسبقوني ، ولكنهم لم يلبثوا أن تهاووا تحت وطأة هذا الجهد ، وكان نصيبهم الهلاك .

وبينما كنت قائما بالعمل في تمثال جوبيتر ، لاحظت ان عندي فضة كثيرة فائضة . وهكذا أخذت على عاتقي ، دون استشارة الملك ، صنع زهريه كبيرة ذات مقبضين ،

يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين ونصف الذراع . كما أنني قد خطرت لى فكرة صب النموذج الكبير لتمثال جوبيتر فى البرونز . ولما كنت حتى هذا التاريخ لم أفعل شيئا من هذا القبيل . فقد تشاورت مع رجال مخضرمين متمرسين في هـــذا الفن فى باريس ، ووصفت لهم الأساليب المستخدمة عندنا فى ايطاليا . فأخبرونى أنهم لم يتبعوا خط هذا الأسلوب فى العمل . ولكن اذا انا أذنت لهم فى العمل وفقا للقواعد الخاصة بهم ، فانهم سوف يبرزون البرونز نظيفـــا تاما .. كالصلصال . فاخترت ان أعقد معهم اتفاقا مؤداه تحميلهم المسئولية مع وعدهم بعده جنيهــــات ذهبية فوق الثمن الذى ساوموا عليه . وعلى هذا بدأوا فى العمل قدما . لكننى لم ألبث ان رأيتهم يسلكون طريقا خاطئة فى العمل ، وبدأت أعمل لنفسي تمثالا لرأس يوليوس قيصر ، شاملا للصدر والدرع ؛ أكبر كثيرا من الحجم الطبيعى ، كنت قد شكلته من نسخة مصغرة لرسم أثرى رائع جئت به معى من روما . كما شرعت فى رأس آخر بنفس الحجم مأخوذ عن فتاة رائعة الجمال ، كنت أحتفظ به لمتعتى . وقد سميت هذا التمثال فونتينبلو ، نسبة الى المكان الذى اختاره الملك لمسراته .

وقد أقمنا فرنا صغيرا رائعا لصب البرونز ، وجعلنا كل شيء على استعداد ، وأتممنا تحميص القوالب . وتولى الفنانون الفرنسيون عملية جوبيتر ، بينما عكفت أنا على رأسى التمثالين الخاصين بى . وبعدئذ قلت :

« لا أظن أنكم ستنجحون فى تمثالكم جوبيتر ، لأنكم لم تهيئوا فتحـــات كافية من تحت لدورة الهـــواء ، ولذلك فأنتم لا تفعلون أكثر من تضييع وقتكم وتعبكم » .

فردوا بقولهم أنه اذا أنتهت عمليتهم الى الفشل ، فسوف يردون الى النقـــود التى أعطيتها لهم تحت الحساب ، ويعوضوننى عن المصروفات الجارية . لكنهم أشاروا على بأن أركز اهتمامى على عمليتى ، لأن تمثالى الرأسين اللذين أنوى صبهما بطريقتى الايطالية لن تنجح بأى حال .

***

وقد شهد هذا الخـلاف بيننا الصرافون والأشراف المكلفون من قبل الملك بالاشراف على عملياتى ، وكان كل شيء يدور كلاما أو عملا يبلغ فى حينه الى جلالته . وكان الفنانان المخضرمان اللذان اضطلعا بصب تمثالى لجوبيتر قد أرجأ التجـربة ، قائلين أنهما يفضلان اعداد القالبين الخاصين برأسى تمثـالى الآخرين . وكانت حجتهما فى ذلك أنه طبقا لطريقتى فلا تتوقع أى نجاح ، وانه من المؤسف اهدار مثل هذين التمثالين البديعين . وعندما بلغ هذا مسامع الملك ، أصدر نطقه بأن الأجدر بهما أن يحصرا تفكيرهما فى الاستفادة والتعلم ، والا يحاولا تعليم من هو أستاذ لهما .

***

وعلى ذلك فقد وضعا تمثالهما فى الفرن بين الاغراق فى الضحك . أما أنا فقد احتفظت برباطتى دون أن اظهر انبساطا أو غضبا ( وان شعرت بـكليهما ) ، ووضعت تمثالى الرأسين فى الفرن ، على جانبى تمثال جوبيتر . وقد بدأ المعـــــدن ينصهر على ما يرام ، وتولينا صبه باحساس من الفرح والبهجة . وامتـــلأ قالب جوبيتر بصورة تدعو الى الاعجاب ، وحدث مثل هذا مع تمثالى الرأسين . فكان هذامدعاة لابتهاجهما وابتعاث احساسى

بالرضا . اذ لم يخامرني اي اسف لأنني تنبأت خطئا بما سيصيب عملهما . وتظاهرا من ناحيتهما كأنما اغتبطا لما تبينا من خطئهما بصدد تمثالي الاثنين . ثم طلبا ، طبقا للعادة السائدة في فرنسا ، أن نتبادل الشراب بروح المسرة . فأبديت أتم استعدادي ، وامرت بوجبة خفيفة طيبة لادخال السرور عليهما . فلما فرغنا من هذا طلبا مني دفع النقود المستحقة لهما مع الزيادة التي وعدت بها . فقلت لهما :

« انكما كنتما تضحكان ممـــا اخشى أن يجعلكما تبكيان . فبعد التأمل والتفكير يبدو لي أن المعـــدن المصبوب في قالب تمثالكما كان أكثر كثيرا مما يجب . ولذلك فانني سأنتظر حتى الغد قبل أن اسدد نقودا أخرى » . فابتلع المسكينان كلماتي واجتراها مفكرين مهمومين ، ثم انكفآ عائدين الى بيتهما دون مزيد من الجـدل .

***

فلما كان الفجر شرعا ينبشان جوف الفرن في أتم هدوء وسكون . فلم يتمكنا من الكشف عن قالب تمثالهما الكبير الا بعد استخراج تمثالي الرأسيين الخاصين بي . وقد خرج هذان في حالة ممتازة ، وقد وضعاهما في مكان يبدوان فيه للعيان جيدا . وعندما وصلا الى تمثال جوبيتر ، ولم ينبشا حوله أكثر من ذراعين ، بدرت منهما صيحة مدوية شـــاركهما فيها مساعدوهما الأربعة ، جعلتني استيقظ من نومي . والواقع انني تصورت انها صيحة الانتصار ، حتى انني ذهبت اليهما ركضا ، اذ كانت غرفة نومي تبعد مسافة تزيد على خمسمائة خطوة . وما كدت أصل الى المكان حتى رأيتهما ينظران الى أمامهما

مغمورين مروعين . فلمـــا ألقيت نظـــــرة عجلى على تمثالى الاثنين ورأيتهما على أفضل ما يرام ، خف أستيائى بما مازجة من سرور بعثه هذا المشهد فى نفسى . وعندئذ بدأ يزجيان معـــاذيرهما ، اذ هتفا قائلين : « يا لنحس حظنا ! » .

فرددت عليهما قائلا :

« ان حظكما كان أحسن ما يمكن ، ولكن مصدر النحس كان فى ضعف معرفتكما . ولو أننى رأيت منكما فقط ادخال روح قالبكما ، لكان بامكانى أن أعرفكما بكلمة واحدة كيف تصبان التمثال بغير خلل أو خطأ . فليكن لكما فى هذا درس يعلمكما مرة أخرى كيف يكون العمل ، بدلا من الاستهزاء بأساتذتكما » .

## من كتاب : دون كيشوت

بقلم : سرفانتس

وصفوة القول انه ، بعد أن فارقته سلامة عقله تماما ، عثر مصادفة على أغرب فكرة يمكن أن يعثر عليها مخبول في هذه الدنيا : فقد توهم من الصواب والضرورى صونا لشرفه وخدمة لبـــلاده أن يجعل من نفســه فارسا مطوفا ، يطوف فى الدنـيا كلها بكامل دروعه وعلى صهوة جواده بحثا عن المغامرات ، ويمارس بشخصه كل ما قرأه عما كان يمارسه في المعتاد كل فارس مطوف . فيصحح كل لون من الوان الظلم ، معرضا نفسه للمخاطر والمهالك لكى يجنى آخر المطاف الشهرة الآبدة وذيوع الصيت فى الآفاق . بل ان هذا المسكين ألفى نفسه من فوره هذا وقد توج ، بفضل شدة بأسه ، امبراطور ( تريبيزوند ) على الأقل . وهكذا انبعث على الفــور ، مدفوعا بمــا وجد من ابتهاج غامر فى هذه الأوهام ، الى وضع خطته موضع التنفيذ .

وكان أول ما فعله هو تنظيف درع كان مملوكا لجدجده وظل مدى أجيال ملقى فى ركن منسى وقد أكله الصدأ وكساه العفن الفطرى . فجلاه وصقله بكل ما فيه من جهد ، ولكنه لم يلبث أن رأى فيه عيبا شديدا . ذلك انه كان بلا خوذة مغلقة ، ولم يكن به أكثر من خوذة

عادية . لكن حذقه تكفل بالتغلب على هذا العيب .
فقد اصطنع نصف خوذة من الورق المقوى ما أن ركبها
فى الخوذة حتى بدت مكتملة كاسية . نعم أنه لكى
يستوثق من متانتها وصـــلاحيتها للصمود أمام الضرب
والطعان جذب سيفه وأهوى عليها بطعنتين ، فما كان
من الطعنة الأولى الا أن أفسدت فى طرفة عين ما سلخ
أسبوعا فى عمله . والواقع ان السهولة التى تم بهـــا
تمزيق ملحق الخوذة شر ممزق قد ضايقته الى حد ما ،
ولكى يحترز من هذا الخطر أنشأ يعمل من جديد ، فركب
قضبانا من حديد فى الداخل حتى اطمـــأن الى متانة
الخوذة ، ولم يكلف نفسه بعد ذلك عناء اختبارها مرة
أخرى ، فقد أجازها وعدها خوذة من أتم طراز .

وشرع بعد ذلك فى تفقد حصانه ، ذلك الذى كان فى
نظره رغم عيوبه الكثيرة أكرم من جواد الاسكندر . وقضى
أربعة أيام كاملة وهو يفكر فى اسم يطلقه عليه . فانه ( كما
قال لنفسه ) ليس من السداد أن يكون بلا اسم مميز
جواد مملوك لفارس له مثل هـــذه الشهرة ومثل هذه
المناقب التى تفرد بها ، وبذل قصارى جهده لاختيار اسم
يشير الى ما كان الحصان قبل أن يتملكه الفارس المطوف
والى ما هو كائن الآن . ذلك ان مما يدخل فى دائرة المعقول
ان رب الحصان وقد تقلد شخصية جديدة ، ينبغى أن
يكون لحصانه اسم جديد ، وأن يكون الاسم ممتازا طنانا
يملأ الأسماع ، جديرا بالصفة والنحلة اللتين يوشك أن
يتقمصهما . وهكذا ، بعد أن استعرض من ذاكرته ومن
وحى تخيلاته أسماء لاعداد لها كان يبدىء فيها ويعيد ،
ويحذف ويزيد ، ويبرم وينقض ، استقر عزمه على اسم
( روزينانت ) وقد بدا فى تفكـــيره شامخا ، طنانا ،

ومعبرا عن حالته السابقة كحصان أجرة قبل ان يغدو ما هو عليه الآن : أول وأبرز حصان أجرة فى العالم بأسره .

***

وبعد أن اتسق له اختيار اسم لحصانه بما طابق ذوقه على هذا النحو ، شغل ايما شغل باختيار اسم له ذاته ، واستغرق ثمانية أيام أخرى وهو يقدح زناد الفكر ، حتى استقر رأيه آخر الأمر على أن يسمى نفسه دون كيشوت.

***

ثم بعد ذلك ، بعد أن تم اصلاح درعه وصقله ، وبعد أن أستكمل خوذة كاسية ، وبعد أن صار لحصانه اسم ولذاته كنية ، انتهى الى الاقتناع بأنه ليس به من حاجة الى شىء آخر سوى البحث عن سيدة يقع فى هواها ويغدو لها عاشقا . ذلك لأن الفارس المطوف بغير حب هو أشبه بشجرة بغير أوراق أو ثمار ، أو جسد بلا روح . وكما قال لنفسه : « اذا أتيح لى رغم ذنوبى أو لحسن طالعى أن التقى بمارد فى هذا الجوار ــ وهو حادث شائع عند الفوارس المطوفين ــ ثم أطوح به فى هجمة واحدة ، أو أمزقه اربا حتى وسطه ، أو بالاختصار أقهره وأخضعه ، أفلا يكون من الخير أن تكون هناك من أبعث به اليها كهدية ، لكى يركع أمام سيدتى المحبوبة ويقول لها فى استكانة وذلة : ( أنا كاركوليامبرو الجبار ، سيد جزيرة مالیندرانيا ، قهرنى فى منازلة واحدة الفارس الذى لا يعطى حقه من التمجيد دون كيشوت ، والذى امرنى أن أقدم نفسى لسموك ، لكى تتصرفى فى شأنى حسب مشتهاك ! ) .

يا عجبا ! لشد ما استمتع صاحبنا هذا الطيب بالقاء

هذه الخطة العصماء ، خصوصا عندما فكر فى ايجاد من ينعتها بسيدته ! وتقول القصة أنه كانت هناك فى قرية قريبة من قريته فتاة ريفية موفورة الملاحة هام بها فى فترة من حياته ، وان كانت فيما هو معروف أنها لم تعرف أبدا بهذا الأمر ولم تلق قط بالا اليه . كانت تدعى الدونزا لورينزو ، وقد خطر له أن يخلع عليها لقب سيدة أفكاره . وبعد طول البحث عن اسم لا يكون متنافرا مع اسمها ويمكن أن يوحى ويشير باسم أميرة وسيدة عظيمة المقام ، استقر رأيه على أن يسميها دولسينيا دل تربوزو، اذ كانت من أبناء قرية ال توبوزو ـ وهو اسم بدا فى خاطره موسيقيا ـ غير مطـــروق ، وينبىء ببلاغة عن الحسب والنسب ، ككل الأسماء التى خلعها على نفسه وعلى كل ما يمت اليه بسبب .

## من كتاب : الأمير

بقلم : نيكولو ماكيافيللى

## كيف ينبغى للأمير أن يتحاشى المتملقين

يجب على ألا انسى ذكر لون من الشر يجدر بالأمراء أن يكونوا منه على حــــذر دائم ؛ وهو الذى لا يمكنهم تحاشيه الا بأكبر قدر من الحصافة والحكمة . وهذا الشر هو التملق الذى يسود فى كل بلاط . ان الرجال مشبعون بالكثير من حب الذات وحسن الذكر الى حد يصعب معه كثيرا أن ينأوا بأنفســـهم عن عدوى هذا الداء . وفضلا عن ذلك فـــانهم اذ يبذلون الجهـــد لتحــــاشيه ، فانهم يجازفون بالتعرض للاحتقار والازورار .

ذلك أنه ليس من سبيل آخر أمام الأمراء لاقصـــاء المتملقين غير تبيان أن الحقيقة لن تضايق ولن تغضب . غير أنه لو أبيح لكل واحد أن يفصح عن مشاعره بنجوه من العقاب ، فما الذى يصير اليه الاحترام الواجب لجلال العاهل ؟ فعلى الأمير الحصيف أن يسلك سبيلا وسطا ، وأن يختار فريقـــا من الرجال ذوى العقل والحكمة فى دولته ، واليهم وحدهم يسوغ له أن يمنحهم حرية ابلاغه الحقيقة فى تلك الأمور التى يطلب عندهم البيان والرأى عنها . وينبغى له ولا ريب أن يستقصيهم ويستمع الى آرائهم فى كل موضوع ذى شأن ، ثم يبت بعد ذلك بقراره طبقا لتقديره الذاتى ، وفى كل الأوقات ينحـــو

فى مسلكه الى اقناع كل واحد بأنهم كلما تكلموا بجدية كلما كانت آراؤهم أكثر قبولا . وبعد هذا لا ينبغى له أن يستمع الى أحد غير هؤلاء ، وانما ينبعث بعزم وثبات لانفاذ ما انعقد عليه قراره .

ان الأمير الذى يتصرف على غير هذا الوجه اما أن يكون نهب الحيرة والارتباك بسبب تزلف المتملقين ، واما أن يفقد كل احترام وتقدير بسبب ما يضطر الى سلوكه من مسالك متردد مذبذب . وهذا المبدأ يجد ما يعززه فى مثال مستمد من تاريخنا الراهن . فقد قال الأب لوقا عن الامبراطور مكسيميليان ، مولاه ، الجالس على العرش: « انه لم يأخذ قط مشورة أى شخص ، ورغم ذلك فانه لم يتصرف قط بوحى من رأيه الخاص » . وفى هذا الصدد فانه نهج أسلوبا مضادا تماما للأسلوب الذى عرضته . فنتيجة لأن هذا الأمير لم يكن يأتمن أيا من وزرائه على خططه ومشروعاته ، مقترحاتهم لم تكن تقدم الا فى آخر لحظة عند مرحلة التنفيذ . والنتيجة أنه كان يضطر تحت ضغوط متطلبات الساعة ومقتضياتها وعندما تغرقه العوائق والمصاعب غير المنظورة ، الى الاذعان أمام اية آراء قد يقدمها وزراؤه . ومن ثم يحدث أن ما يفعله ذات يوم يضطر الى الغائه فى اليوم التالى . وهكذا فما من أحد يمكنه الاعتماد على قراراته ، اذ يستحيل معرفة ماذا سيكون قراره النهائى .

***

ينبغى للأمير أن يأخذ الرأى من الآخرين فى كل شأن من الشئون ، ولكن فقط فى تلك المناسبات التى تعنى له ، وليس كلما أقحمت عليه . وبهذا لن يترخص أحد فى ابداء المشورة له حين لا يطلبها . وينبغى له أن يكون

محبا للبحث والتحقيق ، وان يستمع باهتمام وعناية .
وعندما يرى أحدا يتردد فى ابداء الحقيقة كاملة أمامه ، فينبغى أن يظهر بوضوح غاية الاستياء لمثل هذا المسلك .

ويخطىء أكبر الخطأ من يتصورون ان الأمير الذى يستمع الى مشورة الآخرين لن يكون الا محلا لأقل الاحترام والتقدير . ومناطا للظن بأنه عاجز عن التصرف وفقــا لحكمه ورأيه الخاص . ان من القواعد المؤكدة الا أن الأمير الذى لا يحظى بعقل ثاقب متفطن لا يمكن قط أن تنجح معه مشورة ولا يجديه النصح أقل جدوى ، اللهم الا أن يكون تحت السيطرة الكاملة لمــا يشير به عليه وزير مقتدر ، فيلقى على كاهله كل مشاغل الحكومة وأعبائها .
ولكنه فى هذه الحالة ســوف يستهدف لمخاطرة كبرى تؤدى الى تجريده من سلطانه بفعل ذات الشخص الذى أودعه قوته بغير ما حكمة . واذا كان لمثل هذا الأمير مستشارون عديدون بدلا من مستشار واحــــد ، فكيف يمكنه ، وهو جاهل قليل الاطلاع ، أن يوائم بين الآراء المتباينة والمتضاربة لأولئك الوزراء ـــ الذين يحتمل أن يكونوا أكثر انكبابا على تحقيق مصالحهم الخاصة منهم على تحقيق مصالح الدولة ـــ وذلك دون أن يستريب فى ذلك ؟

***

بالاضافة الى هذا ، فان الرجال الذين هم فاسدون بطبعهم لا ينحازون الى الخير والصلاح الا اذا أجبروا على ذلك . ومن هذا يسوغ لنا أن نقرر المشورة الصالحة - مهما يكن المصدر الذى تأتى منه ، انما مردها التام الى حكمة الأمير لا تنبثق من صلاح المشورة .

## من كتاب : يوميات صمويل بليبس

١٣ أكتوبر ١٦٦٠ ، ذهبت الى منزل سيدى اللورد ساندوتسن فى الصباح ، حيث قابلت كابتن كوتانس ؛ ولكن بسبب عدم استيقاظ السيد من نومه فقد توجهت الى تشيرنج كروس وتفرجت على الميجـــور جنرال هاريسون وهم يشنقونه وينزعون أحشـــاءه ويقطعون أوصاله . وكان بادى المرح كمرح أى إنسان فى مثل هذه الحالة . وما لبث أن أنزلوه وعرض رأسه وقلبه على الجماهير ، فتعالت صيحات البهجة عالية مدوية . ويقال أنه قال متأكد من عودته قريبا للحكم على أولئك الذين حكموا عليه ، وان زوجته تتوقع فعــلا عودته مرة أخرى. وعلى هذه الصورة كان من حظى أن أشهد اعدام ( الملك ) بقطع رأسه فى هوايت هول ، وأن أرى أول دماء تراق قصاصا لدم ( الملك ) فى تشيرنج كروس . ومن هنـــاك عدت الى بيت سيدى ، وأخذت كابتن كوتانس ومستر شيبلى الى (صن تافيرن) ، حيث قدمت اليهما بعض المحار وبعد ذلك عدت الى بيتى بطريق النهر ، حيث غضبت من زوجتى اذ وجدت أشياء البيت مبعثرة ، وفى انفعالى رفست سلة الخزف الصــــغيرة الجميلة التى كنت قد اشتريتها لها من هولندا فكسرتها ، وهو ماضايقنى بعد الذى كان منى . وأمضيت طيلة المساء أرتب الرفوف

فى غرفة مكتبى . وفى الثامنة أويت الى الفراش .

***

يوم ١٤ ( الاحد ) . توجهت مبكرا الى منزل سيدى ، وفى الطريق قابلت دكتور فيربراذر الذى سار معى عائدين الى بيت أبى مرة ثانية . وهناك تناولنا مشروب الصباح . وكان أبى قد ذهب الى الكنيسة وبقيت أمى نائمة فى فراشها . وهناك طلب منى وضع امضائى بين امضاءات كثيرة لأناس محترمين على ورقة او وثيقة من أجل مصلحة له . وبعدها توجهت الى كنيسة هوايت هول ، حيث ألقى من يدعى دكتور كروفتس موعظة فاترة ، تلتها ترنيمة كان انشادها رديئا ، مما جعل ( الملك ) يضحك . وهنا أمكن أن أرى كبرى بنات الملك ـ الأميرة الملكية ـ لأول مرة منذ مجيئها الى انجلترا .

***

٢٢ نوفمبر ١٦٦٠ ، فى هذا الصباح جاء النجارون وصنعوا بابا للجانب الخلفى من بيتى ، سررت به كثيرا . وعند الظهر مشيت مع زوجتى الى محال أولداكستشينج حيث اشترت لنفسها شالا أبيض ارتدته ، واشتريت أنا قفازا ، ثم ركبنا مركبة الى منزل مستر فوكس فى هول ، حيث وجدنا مسز فوكس فى المنزل ، ووجدنا معها مندوبا للملك عن لندن يؤدى للملك ماقيمته ١٠٠٠ أو ١٤٠٠ جنيه ذهبا وضعها فوق المنضدة ، وهو أكبر قدر من الذهب شاهدته مجمعا فى حياتى .

وبعد قليل جاء مستر فوكس وتلقانا باحترام عظيم . وبعدها صحبنى وزوجتى الى قاعة استقبال الملكة ، حيث أجلس زوجتى خلف مقعد الملكة ، وجلست انا بين

الجمهور . وبعد فترة جاءت الملكة والأميرتان قبل موعد العشاء . وكانت الملكة امرأة عجوزا ضئيلة الجسم عادية وليس فى هيئتها ولا فى ملبسها بأى حال ما يزيد عن أى امر عادية . وكنت قد رأيت الأميرة أورانج مرارا من قبل. أما الأميرة هنريتيا فهى موفورة الحسن ،ولكنها كانت أدنى كثيرا مما كنت أتوقع . وقد جعلها هندامها وشعرها المجعد حتى الأذنين تبدو أدنى كثيرا فى نظرى . ولكن زوجتى التى وقفت قريبا منها وهى مكتملة الهندام ومجملة باللصوق الحريرى الأسود على الوجه والعنق بدت في نظرى أوفر ملاحة من الأميرة . وبعد انتهاء مراسم العشاء ذهبنا الى منزل مستر فوكس مرة أخرى حيث تناول العشاء معنا جمع من الأشراف ، وكان عشاء فاخرا ، أعد خصيصا من أجلى واصحابى . ولكن نظرا لأننى لم اصطحب أحدا منهم ، فقد ألح على الموجودين فى تناول كل ما حملته المائدة من أطايب الطعام . وفى نهاية العشاء شربنا نخب صحة سيدى اورد ساندوتسن فى الابريق المذهب الذى كنت أهديته الى مسز فوكس في يوم سابق .

***

٣ نوفمبر ١٦٦١ ( يوم الأحد ) ، لم أغادر البيت هذا اليوم ، ولكن تناولت مسهلا ، ولما كنت طول النهار فى راحة فقد جعلت أقرأ فى كتاب فوللر ( الحرب المقدسة ) وكنت ابتعته مؤخرا . ثم حاولت أن أؤلف أغنية تمجيدا لعبقرية عقلية ( وهو ما أعتقدته فى نفسى ) تضرب بسهم وافر فى الدراسات والمباهج معا ، لكننى لم ألبث أن نبذت هذه المحاولة بعد اذ لم أجد قابلة لها ، ولم أتابعها ، فلما كان الليل تناولت وزوجتى عشاء طيبا لنا وحدنا

مؤلفا من دجاجة صغيرة مفرومة . وهو ما أبهجني كثيرا اذ رايت حتى قد تحسست اى احد ـذى سمح بطبق كهذا . وفى النهاية أوينا الى الفراش .

***

٤ نوفمبر ١٦٦١ . لما كان الصباح ممطرا جدا فقد ذهبت فى مركبة مع سير وابين وزوجتى الى هوايت هول، وبعد أن ارسلتها الى دار مسز هنت ، قصدت معه الى منزل مستر كوفنترى لبعض الأعمال ، ثم أستدعيت زوجتى مرة أخرى وعدنا ثلاثتنا مرة أخرى . الا أنا فقد تخلفت وقصدت الى منزل مستر بيرس صراف الخزانة، الذى أعد لنا عشاء فاخرا من العمود الفقرى البقرى وطبق العظم النخاعى . وكانت الرفقة تضم عمى وايت ، وكابتن لامبرت ، ومن يدعى كابتن ديفيز ، والصراف بارتز ، ومستر رولنسون ، وأنا دزميلى ، وكانت فى الحق وليمة حافلة مرحة . وبعد العشاء ركبت المركبة وصحبت زوجتى . من عند أخيها حيث كنت تركتها ، وقصدنا الى دار الأوبرا حيث شاهدنا مسرحية « العبد المسخر » التى أعجبنا بها من قبل وما زالت تعجبنا . ذلك وان بدا لنا معا انها لم تمثل كما يجب فى هذا المسرح كما شهدناها فى سالسبورى كورت . ولكن فيما يتعلق بالممثل بيترتون ، فهو فى رأينا معا أعظم ممثل فى الدنيا . وبعد هذا عدنا فى المركبة ، فتوقفت فى الطريق عند بيت عمى وايت وبقيت هناك فترة ، ثم عدت الى منزلى فى اثر زوجتى ، وبعدها الى النوم .

## من كتاب : الحديث عن المنهج

بقلم : رينيه ديكارت

لما رأيت أن حواسنا تخدعنا أحيانا ، فقد كنت مستعدا للافتراض بأنه لا وجود لشيء حقا من مثل ما تصـــوره لنا . وبسبب أن بعض الرجال يخطئون في الاستدلال ويقعون في المغالطـــات ، حتى في أبسط مسائل علم الهندسة ، فـانني ، مقتنعا بأنني معرض للخطأ مثل ـ أي أحد آخر ـ فانني نبذت باعتبـــارها خادعة كافة الاستدلالات التي كنت أظنها براهين . وأخيرا ، عندما تدبرت أن نفس الأفكار ذاتها ( بصورها ) التي نلابسها ونحن في اليقظة قد يمكن أيضا أن نلابسها ونحن نيام ، في حين أنه لا واحدة منها وقتها صحيحة ، فقد افترضت أن جميع الأشياء ( بصورها ) التي أتيح لها أن تدخل في ذهني وأنا مستيقظ لم يكن فيها من الصحة بأكثر مما في الأوهام في أحلامي . ولـــكنني لاحظت على أثر هذا مباشرة أنه في حين أنني رغبت هكذا أن أظن أن كل شيء خادع ، فقد كان من الضروري اطلاقا أن أكون أنا الذي فكرت على هذه الصورة ، شخصا ذا شأن . وعندما لاحظت أن هذه الحقيقة القائلة : « أنا أفكر ، اذن فأنا موجود » ـ هي من التأكيد وصـدق البرهان الى حد لا يمكن معه لأي أساس للشك ، مهما كان مفرطا ، أن يزعم أي نزاع الى الشك انه قادر على زعزعتها ، فقـد انتهيت الى أنه أستطيع دون تردد أن أقبلها باعتبارها

المبدأ الأول للفلسفة التي كنت بسبيل البحث عنها .

وفى المرحلة التالية : فانني فحصت بعناية ما هو أنا . وعندما لاحظت أن بامكاني ان افترض أنه لا جسد لي ، وانه لا توجد دنيا ولا أي مكان يمكن أن اكون فيه ، لكن أنه لا يمكنني اذن أن افترض انني غير موجود ، وانه على العكس من هذا ؛ من ذات الظرف الذي فكرت فيه أن أشك في حقيقة الأشياء الأخرى ، فقد أستتبع هذا بأتم وضوح وتأكيد انني موجود . في حين أنه من الناحيه الأخرى اذا انا فقط توقفت عن التفكير ؛ وان كانت جميع الأشياء الأخرى التي اتيح لي ان أتخيلها كانت موجودة في الواقع ، اذن لما وجدت سببا يبرر الاعتقاد بانني موجـود . ومن هنـــا استخلصت انني مادة كل جوهرها أو طبيعتها ينطوى فقط على التفكير ، وانها ، لكي تبقى موجودة ، لا حاجة بها الى مكان ، ولا هي معتمـدة على أي شيء مادي . واذا فانني ( أنا ) ـ أو بالأحرى العقل الذي به أنا هو ما أنا ـ متميز كليا عن الجسد ، بل الى الحد الذي يمكن التعرف عليه اسهل مما يتعرف على الجسد ، وانه من هذا حيث اذا لم يكن للجسد وجود ، فهو مستمر في وجوده .

***

وبعد هذا ذهبت استقصي بصفة عامة ما هو الشيء الجوهرى لحقيقة ويقين قضية ما . فانه مذ قد أكتشفت واحدة عرفت أنها حقيقة ، فكرت أنه لابد لي بالمثل أن أكون قادرا على اكتشاف الأساس لهذا اليقين . ولمـــا كنت قد لاحظت أن في عبارة : « أنا أفكر ، اذن فأنا موجود » لا يوجد شيء بتاتا يعطيني تأكيدا لحقيقتها أكثر من هذا ، وأنني أرى بكل وضـــوح أنه لكي أفكر فمن الضروري أن أكون موجودا ، فقد استخلصت انني يمكن

أن أعتبر ، كقاعدة عامة ، المبدأ القائل بأن كل الاشياء التي نفهمها بكل وضوح وتحديد هي حقيقة . على ان نلاحظ فقط ان هنـاك بعض الصعوبة ، في أن نقرر بسداد ما هي الأشياء التي نفهمها فهما واضحا محددا .

***

وفي المرحلة التالية ، بعد التأمل في الحالة التي كانت مناط الشك عندي ، وأنه نتيجة لذلك فان وجودي لم يكن كاملا كلية ( اذ أنني رأيت بوضوح أنه من الأكثر كمالا أن أعرف أكثر مما أشك ) ، فقد انتقلت الى البحث من أين تعلمت أن أفكر في شيء أكثر كمالا من نفسي . فعرفت بوضوح أنه لابد أن أعتنق هذه الفكرة من طبيعة ما ، هي في الحقيقة أكثر كمالا . وعندما فكرت في الأشياء الكثيرة الأخرى الخارجة عن ذاتي ، مثل السماء ، والأرض ، والضوء ، والحرارة ، وألوف غيرها – قلت حيرتي في معرفة من أين جاءت هذه الأشياء – فانني مذ لم الاحظ فيها شيئا بدا أنه يجعلها أسمى من ذاتي ، أمكنني أن أعتقد أنه اذا كانت هذه الأشياء حقيقية ، فانها متوقفة على طبيعتي في كونها جائزة لكمال معين . واذا كانت خادعة ، فانني قبلت بها من لا شيء – أو بالأحرى قائمة عندي بسبب نقص معين في طبيعتي . لكن هذا لا يمكن أن يكون هو الحال مع فكرة طبيعة أكثر كمالا من ذاتي . اذ أنه لكي أتقبلها من لا شيء ، فان هذا شيء ظاهر الاستحالة . وبسبب أنه ليس أقل كراهية أن الأكثر كمالا يكون نتيجة وموقفا على الأقل كمالا ، مما هو ماثل في أن شيئا ينجم من لا شيء ، فانه مستحيل بنفس القدر أن يتأتى اعتناقي للفكرة من ذاتي وعلى هذا لا يبقى الا ان الفكرة قد وضعت في ذاتي من قبل طبيعة هي في الواقع أكثر كمالا مني ، وانها جائزة في

ذاتيتها جميع الكمالات التى يمكن ان افكر فيها ، وبعبارة اخرى ، فى كلمة واحدة ، هى : الله .

لقد اصبحت ميالا من فورى للبحث عن حقائق أخرى . وعندما صورت لنفسي هدف أصحاب علم الهندسة ، الذى تصورت انه قوام ممتد متواصل ، أو فضاء ممتد الى ما لا نهاية فى الطول والعرض أو الارتفاع أو العمق ، منقسم الى أجزاء مختلفة تقبل مختلف الأرقام والأحجام، ويمكن تحريكها ونقل معادلاتها على جميع الوجوه ( لأن كل هذا هو ما يظن أصحاب علم الهندسة أنه فى نطـاق الهدف الذى يفـــكرون فيه ) ، ذهبت أستعيد بعض دلالاتهم الأولية . فلاحظت فى المرحلة الأولى أن أكثـر الاثبات والتيقن الذى انعقدت الموافقة العامة عليه فى قبول هذه الدلالات انمـا يقوم وحده على هذا : انهم فهموها بوضوح طبقا للقواعد التى اسلفتها . ثم رأيت فى المرحلة التالية أنه لا شيء فى هذه الدلالات يمكن أن يؤكد لى وجود هدفهم الذى يسعون اليه . وهكذا اذا افترضنا على سبيل المثال ان المعطيات هى مثلث ، فقد فهمت بوضوح ان زواياه الثلاث لابد مساوية بالضرورة لزاويتين قائمتين ، لكننى لم أفهم بهـــذا السبب شيئا يمكن أن يؤكد لى أن أى مثلث موجود فعلا . فى حين على العكس من ذلك اذا رجعنـــــا الى فحص فكرة وجود ( كينونة كاملة ) ، رأيت أن وجود ( الكينونة ) مشمول فى الفكرة بنفس الكيفية التى تتضمن أن تساوى زواياه الثلاث لزاويتين قائمتين مشمول فى فكرة المثلث ، أو فى فكرة الجسم الكروى ، وهى تساوى بعد جميع النقط على سطحه عن المركز . وأنه نتيجة لذلك فمن المؤكد على الأقل ان الله وهو تلك ( الكينونة الكاملة ) ، موجود بنفس الدلالات المستخلصة عند أصحاب علم الهندسة .

من كتاب :

# تدهور وسقوط الامبراطورية الرومانية

بقلم : ادوارد جيبتون

## صفات قسطنطين

ان صفات الأمير الذى نقل عاصمة الامبراطورية وأدخل مثل تلك التغييرات الهـامة فى البنيان المدنى والدينى لبلاده ، قد استغرقت الاهتمـام وشعبت الآراء لدى الناس كافة . لقد عده المسيحيون المتحمسون فى امتنانهم له مخلص الكنيسة وأضفوا عليه كل نعوت البطولة بل وحتى القداسة ، فى حين أن الفريق المهزوم ذهب يقارن فى سخطه بين قسطنطين وبين أبشع المستبدين الذين أدى شرهم وضعفهم الى تلويث سـمعة السـلطة الامبراطورية . ونفس هذه المشاعر قد امتدت الى حد ما حتى الأجيال اللاحقة ، فغـدت شخصية قسطنطين معدودة ، حتى فى العصر الحاضر ، مادة للقدح أو المدح . وربما نستطيع نحن بالمواءمة المحـايدة بين تلك المثالب التى يعترف بها أحد المعجبين به ، وتلك المناقب التى يقربها أشد أعدائه لددا ، أن نطمع فى رسم صورة عادلة لذلك الرجل الفـذ يمكن أن يتبناها التاريخ بصـدقه وصراحته دون ما خجل . لكن سرعان ما قد يبدو ان المحاولة العقيمة للمواءمة بين مثل تلك الألوان المتنافرة وللتوفيق بين مثل تلك الصفات المتضاربة لابد أن تبرز لنا صورة هولية شاذة أكثر منها بشرية سوية ، ما لم ننظر اليها فى أضوائها الخاصة المتميزة ، بأن نعمد الى

الفصل بدقة بين مختلف الفترات فى حكم قسطنطين .

***

لقد سخت الطبيعة فيما أسبغت على شخص قسطنطين وعقله من المواهب الطبيعية الفريدة . كان يمتاز بالقوام الشامخ ، والطلعة المهيبة ، والحركات الرشيقة ، وكانت قوته وحيويته تتجليان فى كل مسلك رجولى .

ولقد احتفظ منذ شبابه المبكر حتى آخر مرحلة متقدمة فى حياته بقوة بنيانه بفضل تشبثه الصارم بفضائل العفة والاعتدال فى حياته العائلية . وكان يجد متعة فى العلاقات الاجتماعية التى تجرى فيها الأحاديث دون ما كلفه . وعلى الرغم من انه كان أحيانا يطلق العنان للمزاح بأقل تحفظ يقتضيه الوقار الصارم لمقامه ، الا أن ما جبل عليه خلقه من لطف وتسامح كان يكسبه قلوب كافة المحيطين به . ولقد كان عنصر الصدق والاخلاص فى صداقته موضعا للشك . ومع ذلك فقد كان يبدى فى بعض المناسبات انه غير عصى على المودة الباقية والصداقة الحارة . ولم يحل قصور حظه من التعليم دون أن يتسق لديه تقدير صادق لقيمة العلم والمعرفة ، حتى اكتسبت الفنون والعلوم حظا من رعايته الكريمة وتشجيعه لها بسخاء . وكان له فى تصريف الشئون دأب لا يتطرق اليه الملل . وكان يسخر كل نشاطه الفكرى بصورة لا تكاد تتوقف فى القراءة أو الكتابة أو التفكير ، وفى استقبال سفراء الدول ، وفى فحص شكاوى رعاياه . وحتى أولئك الذين انحوا بالنقد على ملاءمة الاجراءات التى كان يتخذها ، كانوا يضطرون الى الاعتراف بأنه كان يحظى بسماحة فى النظر والتقدير وصبر فى وضع أشق الخطط موضع التنفيذ ، دون أن يثنيه شىء من قصور فى التعليم

ـ صخب من جانب الجماهير .

وفى ميدان القتال كان ينفخ من روحه الباسلة فى نفوس الجند ، الذين كان يوجههم بمواهب القائد المحنك ، والى اقتداره أكثر مما هو الى حسن حظه ، لنا أن نعزو تلك الانتصارات الرائعة التى ظفر بها فى الخارج والداخل على خصوم الجمهورية وأعدائها . وكان يحب المجد ليكون تتويجا لجهوده ، ولعله كان هو الحافز والمحرك له . وربما كان لطموحه المتناهى ـ الذى يبدو منذ لحظة قبوله صولجان السلطة فى يورك أنه كان العاطفة الفوارة المستحوذة على نفسه ـ ربما كان لهذا الطموح مايبرره بسبب المخاطر التى حفت بموقفه ، وبسبب طبائع منافسيه ، وبسبب ادراكه لما هو عليه من جدارة فائقة ، وبسبب توقعه أن نجاحه سوف يمكنه من استعادة السلام والنظام فى أرجاء الامبراطورية المضطربة . وقد عمل فى حروبه الأهلية ضد مكسنتوس وليسينوس على اجتذاب رغائب الشعب وتجنيدها فى صفه ، ذلك الشعب الذى ذهب يقارن بين المساوىء السافرة لأولئك الطغاة وبين روح الحكمة والعدالة التى بدا أنها توجه المنحى العام لحكم قسطنطين .

## من كتاب : توم جونز

بقلم : هنرى فيلدنج

غاب مستر الويرثى عن لندن ربع سنة بتمامه فى عمل خاص به كل الخصوص ، وان لم أعرف ما هو . ولكن لك أن تقدر أهميته بكونه قد احتجزه هذه الفترة المديدة بعيدا عن بيته ، الذى لم يكن يغيب عنه مدى شهر فى أى وقت طيلة اعوام كثيرة . وقد عاد الى بيته ، متأخرا جدا ليلا ، وبعد أن تناول عشاء يسيرا مع أخته ، آوى الى غرفته وهو مكدود شديد التعب ، وبعد أن أمضى فى رحاب الغرفة بضع دقائق راكعا على ركبتيه ـ وهى عادة لم يتحلل منها بأى حال لأى سبب ـ تأهب لـكى يدلف الى فراشه ، واذا هو لا يكاد ينثر ملابسه حتى تعاظمت دهشته حين وقع نظره على طفل ملفوف بكتان خشن مستغرق بين أغطية الفراش فى نوم هانىء عميق . والحق أنه وقف حينا غارقا فى الدهشة لهذا المشهد ، ولكن لمـا كان طبعـه الطيب هو صاحب القلب دائمـا ، فسرعان ما بدأ يتأثر بمشاعر الرحمة والعطف حيـال هذا المنكود الصغير امامه . ولم يلبث أن قرع جرسه وأمر باستدعاء خادمة عجوز لكى تنهض فى الحال وتأتى اليه . وفى غضون ذلك تزايد اهتمامه ولهفة وهو يتأمل جمال البراءة البـادية فى تلك الألوان الفضة المليئة بالحيـوية التى تتجلى دائما فى الطفولة والنوم ، الى حد

ان استغراقه فى التفكير انساه أنه كان لا يزال بقميصه عندما أقبلت الخادمة . والحق يقال أنها هيأت لمخدومها وقتا كافيا لكى يغير ملابسه . فانها من قبيل الاحترام له ومراعاة الحشمة أمضت دقـــائق كثيرة فى تسوية شعرها أمام المرآة برغم حالة الاستعجال الشديد التى اقترنت بدعوة الخادم لها لتلبية طلب المخدوم ، وعلى الرغم مما قدرته من أن يـكون سيدها مستهدفا لنوبة صرع قاضية أو غيرها من التقرب .

فلا مثار للعجب اذا كانت مخلوقة تتشبث بموجبات الحشمة الصارمة فى شخصها تصعق صعقا لأقل انحراف عنها فى شخص آخر . وهكذا فانها لم تكد تفتح الباب وتبصر سيدها واقفا قرب السرير فى قميصه وبيده شمعة حتى ارتدت منتفضة وقد انتابهـــا أشد الفزع والروع ، وربما كانت تخر مغشيا عليها لولا أنه تذكر الآن أنه متجرد ، فسارع يضع حدا لفزعها بأن طلب منها أن تبقى خارج الباب الى أن يستر عريه بملابس لائقة ويغدو فى وضع لا يمكن معه أن يصدم عينى مسز ديبوا ويلكنز البربئتين ، تلك التى وان كـانت الآن فى الثانية والخمسين من عمرها فانها تقسم بأنها لم تبصر قط رجلا لم يكن قاسيا . وقـد يضحك الساخرون والمستخفون بالحرمات مما انتابها من هذا الفزع بادىء ذى بدء ، ولكن القارىء الرصيص لا يلبث اذا تدبر هذا الوقت المتأخر من الليل ، والاستدعاء المعجل من فراشها ، والحالة التى وجدت عليها سيدها ، لا يلبث أن يبرر مسلكها ويطريه الى أبعد حد ، ما لم ينتقص التفكير فيما يلابس العوانس فى مثل تلك السن التى بلغتها مسز ديبورا من عوامل التعقل المستريب ، من تقديره لها واطرائه لمسلكها .

ولما رجعت مسز ديبورا الى الغرفة وعرفها السيد بوجود الطفل الصغير ، كان ارتياعها أشد مما لقي من هذا الارتياع . بل أنها لم تتمالك ان هتفت باستقطاع شديد خالط نبراتها ونظراتها معا : « سيدى الكريم ! ما العمل ؟ » . فرد مستر الويرثى قائلا أنه لا مفر لها من العناية بالطفل هذه الليلة ، فاذا كان الصبح أمر باستقدام مربية له ، فقالت له : « نعم يا سيدى . وأملى أن تبعث سيادتك بمذكرة للقبض على امه الفاجرة ، اذ لابد أن تكون واحدة من جوارينا . ولسوف يسعدنى أن أراها ترسل الى سجن ( بريدج ويل ) ويجلدونها موثوقة فى عربة يجرها حصان . والحقيقة ، ان أمثال هؤلاء العواهر لا يستكثر عليهن أقسى العقاب . وأؤكد أن هذه ليست فعلتها الأولى ، بالنظر الى وقاحتها فى القاء الطفل فى فراش فخامتك » . ثم رد عليها الويرثى قائلا : « لست اظن أنها بالقاء الطفل عندى كانت لديها مثل هذه المآرب . وفى ظنى أنها سلكت هذا السبيل لكى تجد فقط من يكفل الطفل . ويسرنى فى الحق أنها لم تفعل شيئا أسوأ من هذا » . فهتفت ديبورا قائلة : « لا أعرف ما هو أسوأ من قيام مثل أولئك الفواجر بالقاء ثمار اثمهن على عتبة الناس الشرفاء . وعلى الرغم من أن فخامتك تعرف براءتك من الاثم فان الدنيا بمثابة مليئة بالنقد القاسى ، وما أكثر ما يؤخذ كثير من الناس الشرفاء بمظنة كونهم آباء لأطفال لم ينجبوهم قط . واذا تصديت فخامتك لكفالة الطفل ، فسوف يكون هذا ادعى الى تصديق الناس للظنون . وفضلا عن هذا فما الذى يحدو فخامتك الى كفالة ما هو واجب على الدائرة أن تتكفل به ؟ أما من جانبى أنا ، لو انه كان ابنا لرجل شريف حقا ... لكننى مع ذلك لا أطيق أن ألمس هؤلاء

المفاكيد أولاد السفاح ، الذين لا أنظر اليهم كرفاق لى فى البشرية . أف منه ! يا للنتن ! ان ريحه أبعد عن ريح مسيحى طاهر . واذا كان لى أن اتجاسر وأبدى نصيحة ، فالأفضل عندى أن يوضع فى سلة ويلقى به عند عتبة حارس الكنيسة . ان الليلة معتدلة ، وان كانت ذات هواء ومطر قليل . واذا لففناه جيدا ووضعناه فى سلة دافئة ، فأراهن أنه سوف يعيش الى أن يعثروا عليه فى الصباح . لكن اذا لم يعش ، فاننا نكون قد أدينا واجبنا بما منحناه من رعاية مناسبة . وربما يكون الأفضل أن تموت مثل هذه المخلوقات وهى بعد بريئة ، من أن تشب وتحاكى أمهاتها . اذ لا يمكن أن نتوقع منهم أحسن من هذا المصير .

## من كتاب : رحلات جليفر

**بقلم : جوناثان سويفت**

كنت ممددا فوق الحشائش ، التي كانت قصيرة وطرية جدا ، حيث نمت أعمق ما أتذكر أنني نمت في حياتي ، وزهاء تسع ساعات فيما أقدر ، فانني عندما استيقظت كان بزوغ النهار وشيكا . وقد حاولت النهوض ، بيد أنني لم استطع حراكا . ذلك لأنني بمصادفة نومى على ظهرى . الفيت ذراعى وساقى مقيدة قيدا شديدا الى الأرض عن الجانبين ، ووجدت شعرى ، الذى كان طويلا وكثيفا ، مربوطا بالأرض بنفس الكيفية . وبالمثل شعرت بأربطة رفيعة كثـــيرة ممتدة حول جسمى ، من تحت الابطين الى الفخذين . ولم أكن استطيع سوى النظر الى أعلى . وبدأت الشمس تزداد حرا ، وضـــايق الضوء عينى . وسمعت من حولى جلبة مختلطـــة مشوشة . ولكننى لم أستطع وأنا بهذا الوضع الذى تمددت فيه أن أبصر سوى السماء .

وبعد فترة قصيرة شعرت بشيء حى يتحرك فـــوق ســـاقى اليسرى وما لبث أن راح يتقدم برفق الى الأمام فوق صدرى حتى كاد أن يبلغ ذقنى . وعندما خفضت عينى الى أسفل بقدر ما استطعت ، رأيت أنه مخلوق بشرى لا يزيد طوله عن ست بوصات ، وبين يديه قـــوس وسهم ، وجعبة سهام على ظهـــره . وفى غضون ذلك

شعرت بما لا يقل عن أربعين من نوع هذا المخلوق ( فيما تصورت ) تحذو حذو الطارق الأول . لقد انتابني أشد الذهول ودوت مني صيحة مجلجلة جعلتهم جميعا يركضون مرتدين في فزع . وفيما نمي الى علمي بعد ذلك ، فان بعضهم قد أصيب من اثر السقوط وهم يثبون الى الأرض من جانبي . ومهما يكن فسرعان ما عادوا . وما لبث أحدهم الذي تجاسر ودنا كي يستجلي طلعتي بنظرة شاملة ، ان رفع يديه وعينيه علامة الاعجاب ، وهتف بصوت أجش ولكنه واضح : « هكيناه ديجال » ، وردد الباقون نفس الكلمات بضع مرات ، وان كنت لم أعرف وقتئذ معناها .

كنت ممددا طوال ذلك ، كما لعل القارىء أن يصدق ، في قلق شديد . وأخيرا بذلت جهدي للفكاك ، فكان من حسن حظي أن استطعت قطع الخيوط ، وانتزاع الأوتار التي كانت تشد ذراعي اليسرى الى الأرض . وعندما رفعتها الى وجهي تهيأ لي اكتشاف الكيفية التي استطاعوا بها تقييد حركتي . وفي نفس الوقت أمكنني ، بجذبة عنيفة سببت لي ألما شديدا ، أن أخلخل الأربطة التي قيدت جانب رأسي الأيسر بالأرض ، مما هيأ لي أن أدير رأسي نحو بوصتين . لكن المخلوقات ركضت مبتعدة مرة ثانية قبل أن أتمكن من الامساك بها . وعلى الاثر تعالت صيحة عظيمة بلهجة حادة جدا ، وبعد ذهابها سمعت أحدهم يصيح عاليا : « تولجو فوناك » ، وفي أعقابها بلحظة شعرت بأكثر من مائة سهم تطلق على يدي اليسرى ، فكان لها وخز ابر لاعداد لها . وفضلا عن هذا فقد أطلقوا وابلا آخر في الهواء ، كما نطلق القنابل في أوروبا ، ومنها ما أظن أنه سقط على جسمي ( وان كنت لم أشعر بها ) ، وبعضها كان سقوطه على وجهي ، الذي

بادرت فغطيته بيدى اليسرى . وعندما انتهى وابل السهام هذا . كنت أئن من الحزن والالم . وفى مقالبه جديده منى لفك عقالى ، انهالوا على بوابل من قذائفهم اوفر من الاول . وحاول بعضهم رشق حرابهم فى جنبى ، ولكننى لحسن الحظ كنت مرتديا ستره من جلد الجاموس هى ( الجركينة ) الكاسية التى لا كمين لها . ولهذا لم يمكنهم اختراقها بطعناتهم .

فكرت أن الاسلوب السـديد الأمثل هو أن أتمدد ساكنا . وكانت خطتى هى ان استمر هكذا حتى الليل ، حين يتيسر لى ، ويدى اليسرى طليقة فعلا . أن أفك عقالى بسهولة . أما عن السكان ، فقد كان عنـدى من الأسباب ما اعتقدت معه أننى قـد أغـدو ندا للجيش الأكبر الذى يمكنهم حشده ضدى ، ان كانوا جميعا من نفس حجم المخلوق الذى ابصرته . ولكن الحظ كان له تصريف آخر معى . فان هؤلاء الناس عنـدما لاحظوا انحيازى الى الهـدوء ، أمسكوا عن اطلاق مزيد من السهام . بيد أننى عرفت من حجم الضجيج المنبعث أن اعدادهم تكاثرت . وعلى مبعدة نحو أربع ياردات من مكانى ، من ناحية أذنى اليمين ، سمعت دقا دام أكثر من ساعة ، كأنه من اناس يعملون ، وعندما أدرت رأسى بقدر ماسمحت به الأوتاد والخيوط ، رأيت مسرحا أقيم على ارتفاع نحو قدم ونصف من الأرض ، يمكن أن يتسـع لأربعة من السكان ، ومعه سلمان أو ثلاثة للصعود الى المسرح . ومن هذا المكان توجه الى واحد منهم بدا انه شخص ذو قدر بخطاب طويل لم أفهم منه مقطعا واحدا . لكن كان يجب أن أذكر انه قبلما بدأ ذلك الشخص الرئيسى خطبته ، هتف ثلاث مرات : « لانجرو ديهول سان » ، ( ان هذه الكلمات وسابقاتها أعيد فيما بعـد تكرارها

وتفسيرها لي ) . وعلى الأثر قبل نحو خمسين من السكان وقطعوا الخيـــوط التي كانت تربط الجـــانب الأيسر من يدي ، مما هيـــأ لي أن أديرها الى اليمين وألاحظ الشخص الذي يوشك أن يتكلم . لقد بدا متوسط العمر وأطول من أي واحد من الثلاثة الآخرين الذين قاموا بين يديه : وكان أحدهم وصـــيفا أمسك بذيل ردائه ، وبدا أطول الى حد ما من اصبعي الوسطى . ووقف الاثنان الباقيان على جانبيه لسنده . وكان يمثل دور الخطيب أتم تمثيل ، حتى تهيأ لي أن ألاحظ تعاقب أطواره بين التهديد والوعيد ، وبذل الوعود ، وابداء الاشفاق والرقة. وقد رددت بكلمات قلائل،ولكن بأتم علائم الخضوع ، رافعا يدي اليسرى وعيني تجاه الشمس ، كأنما أهيب بها أن تكون شاهدي . وبسبب شـــعوري بالجوع الشديد ، اذ لم أبتلع لقمة قبل ساعات منـــذ مغادرتي للسفينة ، فقد وجدت مطالب الطبيعة من القوة بحيث لم أستنكف من ابداء ضجري ( ربما ضد أصول السلوك الدقيقة ) برفع أصبعي مرارا الى فمي ، للدلالة على حاجتي الى الطعام .

# الفدرالي

كتب هذه الورقة الكسند هاملتون

## الحكمة في قصر فترات الرئاسة في المنصب

قد يسأل سائل : كيف يمكن أن يؤثر قصر فترة البقاء في المنصب في أستقلال السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية ، مالم يملك أحد الطرفين القدرة على تعيين أو تنحية الطرف الآخر . ان احد الردود على هذا السؤال قد يستخلص من المبدأ الذى نوهنا به من قبل . أعنى من الاهتمام الضئيل الذى يميل الانسان الى ابدائه في حالة مزية قصيرة الأمد ، والاغراء اليسير الذى يهيئه له لتعريض نفسه ، بسببه ، لأى من المضايقات أو المجازفات الكبرى . وثمة رد آخر ، قد يكون أكثر وضوحا وان لم يكن أكثر حسما واقناعا ، هو الذى يستخلص من النظر في تأثير السلطة التشريعية على الشعب الذى قد يستخدم لمنع اعادة انتخاب رجل جعل نفسه ، بمقاومته الراسخة القويمة لأى مشروع قانون مشئوم لتلك الهيئة ، عرضة لسخطها وبغضها .

***

وقد يسأل سائل أيضا ما اذا كانت فترة البقاء اربعة أعوام في المنصب يمكن أن تفي بالغرض المقترح . واذا لم تكن ، فهل يمكن لفترة أقصر ، التى يمكن التوجيه بها على الاقل بضمانات أوفى ضد الأهداف والمقاصد الطموحة ، الا تكون مفضلة لهذا السبب على فترة أطول ،

وهى فى نفس الوقت شديدة الخطر بالنسبة لهدف بث روح الثبات والعزم والاستقلال المنشودة فى الحاكم .

***

لايمكن الجزم بأن استمرار فترة اربع سنوات أو استمرار أية فترة أخرى محددة ، يمكن ان يحقق الغاية المقترحة . لكنه يمكن ان يسهم فى الوصول اليها بدرجة يمكن ان يكون لها تأثير مادى على روح وطبيعة الحكومة. ففيما بين بداية ونهاية مثل هذه الفترة تكون هناك دائما فسحة كبيرة تبدو فيها فكرة ابطال وجوده بعيدة بدرجة تكفى لئلا يكون لها تأثير غير ملائم على مسلك رجل مشرب بالقدر المحتمل من الثبات والشجاعة ، والتى فيها قد يعد نفسه بصورة معقولة ان يتسع الوقت قبل حلولها لكى يجعل المجتمع مهيأ للاحساس بصواب التدابيرالتى قد يميل الى اتباعها . ذلك وان كان محتملا ، عندما تقترب اللحظة التى يعرب فيها الجمهور باجراء انتخابات جديدة عن احساسهم بمسلكه ، أن نتعرض ثقته ومعها ثباته للتدهور ، ومع ذلك فان هذا وذاك سوف يستمدان ما يعززهما من الفرص التى أتاحها له استمراره السابق فى المنصب للحظوة بتقدير ورضاء الناخبين . ان له اذن ان يجازف وهو مطمئن ، بمقدار ما قدم من براهين على حكمته واستقامته ، وما ظفر به من مكانة قوامها احترام مواطنين له وارتباطهم به . فاذا كان استمرار فترة أربع سنوات ، من ناحية ، سوف يسهم فى ثبات القائم على السلطة التنفيذية بالدرجة الكافية التى تهيىء لها ان تكون المقوم الأساسى فى المركب كله ، فانه ، من الناحية الأخرى ، ليس كافيا لتبرير أى تخوف وانزعاج حيال حرية الشعب . واذا كان مجلس العموم البريطانى ، قد استطاع ، بدءا من نقطة غاية فى الضعف ، ومن مجرد

سلطته فى الموافقة أو عدم الموافقة على فرض ضريبة جديدة ، قد استطاع بخطا سريعة الانتقاص من امتيازات ( التاج ) وامتيازات النبلاء فى نطاق الحدود التى رأوها متسقة مع مبادىء حكومة حرة ، فى الوقت الذى رفعوا فيه أنفسهم الى مصاف ومكانة الشريك المتكافىء للسلطة التشريعية . واذا كانوا قد استطاعوا فى مناسبة الغاء الملكية والأرستقراطية والاطاحة بكل المؤسسات القديمة فى الكنيسة كما فى الدولة – واذا كانوا قد استطاعوا فى مناسبة قريبة ان يجعلوا العاهل يرتعد لمجرد توقع اجراء تغيير يتم من جانبهم – فما الذى يمكن أن نخشاه من حاكم يأتى بالانتخاب لفترة أربع سنوات ، وسلطانة مقيدة كما هو الحال بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة ؟ ما الذى يخشى الا أن يكون غير أهل للواجب الذى ينوطه به الدستور ؟

## من كتاب : كانديد

بقلم : فولتير

**عاصفة ، وغرق سفينة ، وزلزال ، ثم ما نزل بعد ذلك للدكتور بانجلوس ، وكانديد وجيمس المعمد التجديدى (١) .**

ان نصف ركاب السفينة الذين حل بهم الضعف وأشرفوا على الموت بتأثير ما لا يوصف من القلق والمرض اللذين يحدثهما تطوح سفينة فى البحر فى كل كيان الهيكل البشرى . قد غاب عنهم تماما كل احساس بالخطر الذى أحاطوا بهم من كل مكان . أما الباقون فكانوا يصرخون عاليا أو ينكفئون الى صلواتهم . وكانت الأشرعة قد صيرتها العاصفة مزقا ، وتقوضت الساريات هاوية الى سطح السفينة التى استحالت الى حطام شامل . وكان كل انسان مشغولا بشىء يعينه ، ولكنهم كانوا فى صمم عن سماع شىء أو اطاعة أمر . وقام المعمد التجديدى الذى جاء الى سطح السفينة يمد يد المساعدة أسوة بالباقين ، حين انحط عليه نوتى قظ بضربة طرحته منعقد اللسان ، ولكن النوتى ذاته لم يعد بتأثير عنف الضربة ان هوى على أم رأسه من فوق سطح السفينة ووقع فوق قطعة من السارية المحطمة

(١) عضو فى طائفة بروتستانتية نشأت فى أوربا بعد عام ١٥٢٠ وتميزت بالشروط القاسية التى وضعتها لعضوية الكنيسة وباصرارها على اعادة تعميد البالغين ورفض عماد الاطفال .

تشبث بها من فوره . وما لبث ( جيمس الفاضل ) ان نسي الأذى الذى ناله حديثا من النوتي ، وخف على الأثر لنجدته ، واستطاع بعد مشقة بالغة أن يرفق الى السطح مرة أخرى ، ولكن هذه المحاولة افضت بسبب هزة مفاجئة للسفينة الى قذفه هو نفسه من فوق السطح ، بمرأى من ذات المخلوق الذى خاطر بحياته لانقاذه ، والذى لم يلتفت اليه أدنى التفات فى هذه المحنة . وهم كانديد الذى شهد كل ما دار ورأى المحسن اليه يطفو لحظة فوق الماء ثم تبتلعه الأمواج العاتية فى اللحظة التالية . هم أن يثب من خلفه ، ولكن الفيلسوف بانجلوس حال دونه مبينا له أن طريق لشبونة هذا قد اتخذ عن قصد لكى يلقى المعمد التجديدى حتفه فيه غرقا ، وبينما كان يدلل على حجته بالبداهة ، غاصت السفينة ، وهلك ملاحوها جميعا ، فيما عدا بانجلوس ، وكانديد والنوتي الذى كان سببا فى غرق المعمد التجديدى الطيب . وقد سبح هذا الوغد الى الشاطىء ، ولكن بانجلوس وكانديد وصلا الى البر فوق أحد الألواح .

وطالما استفاقوا من دهشتم ونصبهم ساروا قاصدين الى برشلونة . وقد بدا لهم أن يعملوا بما بقى لديهم من نقود يسيرة على انقاذ أنفسهم من الموت جوعا بعد افلاتهم من الغرق .

وما كادوا يكفون عن التفجع لفقد المحسن اليهم ويضعون أقدامهم فى المدينة حتى ابصروا الأرض ترتجف من تحت أقدامهم ، والبحر الذى كان يتعالى ويزبد فى الميناء ينقض على السفن الراسية فى مرافئها ويحطمها تحطيما . واندلعت ألسنة اللهيب العالية تغطى الشوارع

والمباني العامة مقترنة بالرماد المتلظي . واخذت البيوت تترنح ثم تتساقط هاوية الى قواعدها التي دكت بدورها دكا ، ودفن تحت الانقاض ثلاثون ألفا من السكان من كلا الجنسين ، شبابا وشيبا . واما النوتي الذي ذهب يصفر ويصخب فقد هتف : « سحقا ، لابد من شيء يناله الانسان هنا » . واما بانجلوس فقد قال : « ماذا يمكن أن يكون هناك من ( منطق كاف ) لهذه الظاهرة ؟ » . فقال كانديد : « من المؤكد ان هذا هو يوم القيامة » . وتحديا من النوتي للموت طلبا للسلب والنهب ، ما عتم ان اندفع الى صميم الخرائب ، حيث عثر على بعض النقود ، وبها سكر ، وبعد أن أدركته نومة أفاق على اثرها من سكره ، ما لبث ان اشترى الحظوة عند أول فتاة ودودة صادفها في طريقه بين خرائب البيوت المدمرة وأنات المنكوبين من أنصاف المدفونين واللافظين انفاسهم . ولم يلبث بانجلوس ان جذبه من كمه قائلا : « يا صاحبي ، ليس هذا صوابا . انك تتجاوز حدود ( المنطق الكلي ) ، وقد أخطأت اختيار الوقت » . فرد الآخر بقوله : « سحقا وموتا ! أنا فلاح وقد ولدت في باتافيا ، وقد علموني هناك الا أوقر شيئا ، فدعني من منطقك الكلي ! » .

وفي هذه الأثناء أصيب كانديد بجرح من بعض أحجار سقطت من البيوت ، فانطرح ممددا في الشارع ، بين أكداس المخلفات التي كادت تغطيه ، وقال مخاطبا بانجلوس : « بحق الرحمن ، على بقليل من النبيذ والزيت . انني أقضي نحبي » .

# من كتاب : صموئيل جونسون

بقلم : جيمس بوزويل

لقد عرفت الآن من مستر هكتور كثيرا من دقائق حياة دكتور جونسون المبكرة ، وهو ما أسهم ، بالاضافة الى الدقائق الأخرى التى زودنى بها منذ ذلك الحين ، فى صياغة وتدبيج هذا المؤلف .

قال لى دكتور جونسون فى الصباح : « سوف ترى يا سيدى فى بيت مستر هكتور أخته مسز كيرليس ، وهى أرملة قس . لقد كانت المرأة الأولى التى احببتها . وقد تسرب هذا الحب من تفكيرى تدريجيا . ولكننى واياها سنظل تكن أحدنا للآخر مودة ورقة » . وضحك لفكرة ان الرجل لا يمكن أن يقع قط فى الحب الا مرة واحدة ، وانه كان يعد هذا مجرد نزوة رومانسية .

وفى طريق عودتنا من بيت مستر برلتون ، صحبنى مستر هكتور الى داره ، حيث وجدنا جونسون جالسا يشرب الشاى فى دعة مع من كانت مناط حبه الأول ، تلك التى كانت رغم تقدمهـــا الآن فى السن ، امرأة لطيفة ، مقبولة ، مهذبة .

وذهب جونسون يعرب عن أساه ورثائه لما آلت اليه حال واحد من رفاقهم فى الدراسة هو مستر تشارلز كونجريف ، القس الذى راح يصفه هكذا : « أنه كان

فيما أعتقد منزلة كبيرة فى ارلندا ، ولكنه الآن يعيش فى لندن ، غارقا فى توهم المرض ، يخاف أن يدخل الى بيت سوى بيته . انه يقوم كل يوم بنزهة قصيرة فى مركبة ذات الأربع عجلات . وعنده امرأة مسنة يقول انها ابنة عمه ، تعيش معه ، وتهز ذراعه منبهة برفق اذا ظلت كأسه فارغة فترة طويلة ، وتشجعه على الشراب ، وهو تواق لمن يشجعه فى هذا . وليس معنى هذا انه يشرب حتى الثمل ، لأنه رجل شديد الورع ، ولكن دائما مشوش مذهوب اللب . وهو يعترف بأنه يشرب زجاجة من خمر ( البورت ) كل يوم ، والأرجح انه يشرب أكثر من هذا القدر ، وهو لا اجتماعى تماما . وحديثه مقتضب لا يتجاوز كلمات مفردة . وحينما استفهمت منه فى زيارتى الأخيرة له عن الوقت ، كان لهذه البادرة المؤذية بانصرافى من بالغ الأثر المفرح فى نفسه ما جعله يثبت قائما للنظر فى ساعته ، مثل كلب صيد يثب على أرنب » .

هذا ، وعندما استأذن جونسون من مستر هكتور للانصراف ، قال له : « لا تتقدم فى السن لتصبح مثل كونجريف . ولا تدعنى أتقدم فى السن مثله ، اذا رافقتنى » .

وفى هذه الليلة حين تحدث جونسون مرة أخرى عن مسز كيرليس ، بدا وكأن حبه القديم قد بعث من جديد ، اذ قال لى : « لو كنت تزوجتها ، فربما كانت زيجة سعيدة لى » .

بوزويل ــ حنانيك يا سيدى ، هل تظن ان هناك خمسين امرأة فى الدنيا ، قد يجد المرء مع أية واحدة منهن السعادة كما يجدها مع أية امرأة بذاتها ؟

جونسون ـ اجل يا سيدى ، قل خمسين الفا .

بوزويل ـ اذن فانت ياسيدى لست من راى بعض من يتصورون أن رجالا بعينهم ونســـــاء بعينهن خلقوا بعضهم لبعض ، وأنهم لن يمكن أن يجدوا السعادة اذا فقدوا نظراءهم .

جونسون ـ لست من هذا الراى بالتأكيد يا سيدى . فى اعتقادى ان الزيجات يمكن بصفة عامة ان تكون مشمولة بالسعادة ، بل كثيرا ما تفدو أكثر من هذا ، اذا تم عقدها جميعا باشراف قاضي القضـــاة ، استنادا الى اعتبارات الطبـــائع والأحوال الملائمة ، دون أن يكون للأطراف أى خيار فى هذا الشأن .

***

وعلى الآن ان أسجل حادثا بالغ الغرابة فى حيـــاة جونسون وقع تحت نظرى ، وهو فيما أنا مقتنع به ، وبمقاييس العقول المتحررة ، سوف يعد مناط تقدير له .

ان رغبتى فى التعرف الى مشاهير الرجال من كل طراز هيأت لى التعارف بكل من دكتور صمويل جونسون والسيد جون ويلكز فى فترة متقاربة . ولو حاولت ان تنتقى من عداد البشرية كلها رجلين مختلفين متغايرين لما وجدت أكثر منهما اختلافا وتغايرا . بل ان كلا منهما هاجم الآخر فى كتاباته هجوما فيه قسوة وعنف . ومع ذلك فاننى عايشت الاثنين فى صداقة ومودة . وكنت استطيب الى أقصى حد ما فى كليهما من تفوق وامتياز . ذلك لأننى كنت دائما أجد بهجة ومتعة فى تلك الخصائص الفكرية التى تستطيع أن تفرق بين المنـــاقب والمثالب فى الشخص ذاته .

ذات يوم قال لى سيرجون برينجل ، وهو صديق حميم لى ولأبى من قبل ، وطالما رغبت دون جدوى ان أوطد معرفة وثيقة بينه وبين دكتور جونسون لما كنت أكثر من احترام لكليهما ولمعايشتى لهما عن كثب ، قال لى عرضا بأسلوبه البارع :

ـ غير ممكن فى مجال الصداقة ما هو ممكن فى عالم الرياضيات ، من أن شيئين ، كل منهما مساو لشىء ثالث ، يغدوان متساويين . انت متوافق مع جونسون كنوعية متوسطة ، وأنت متوافق معى كنوعية متوسطة . لكننى وجونسون لا يمكن أن نغدو متوافقين . والحق ان سير جون لم يكن مرنا بالدرجة الكافية ، وهكذا أمسكت عما كنت أنتوى ، علما منى بأن النفور كان شديدا الى مثل هذا الحد من جانب جونسون ، الذى لم أعرف له علة ما لم تكن هويته الاسكتلندية ، والذى انطوى فكره على رأى جد خاطىء حيال سير جون . بيد اننى أبطنت رغبة غلابة ، لو أمكن ، للجمع بين دكتور جونسون ومستر ويلكز فى صعيد واحد . أما كيف أنجح فى هذا ، فتلك كانت مسألة طريفة وعسيرة معا .

***

كانت المناسبة عندما دعانى أصدقائى الناشرين الأفاضل السادة ديللى الى مائدتهم الزاخرة السخية التى كان يجتمع حولها أكبر جمع من رجال الأدب أكثر من أية مائدة أخرى فيما عدا مائدة سير جوشوا رينولدز وذلك بقصد ملاقاة مستر ويلكز وزمرة أخرى من أهل الفضل ، وكان ذلك يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر مايو . وفى هذا اللقاء قلت لضيفى : « بالله الا مادعونا دكتور جونسون ؟ » . فرد مستر ادوارد ديللى قائلا :

« ماذا ؟ ندعوه ليكون مع مستر ويلكز ؟ معاذ الله أن نفعل هذا ! ان دكتور جونسون ما كان ليغفر لنا ذلك » .

فقلت : « هون عليك . لو خولتني ان أتفاوض بلسانك ، فأنا قمين بأن كل شيء سيغدو على ما يرام » .

## من كتاب : الحرف القرمزى

**بقلم : ناثانييل هوثورن**

حين فتح باب السجن من الداخل ، كان أول ما لاح للعيان فى البداية ، كطيف أســـود يبرز الى ضـــوء الشمس ، شخص شماس البلدة المتجهم العبوس ، بسيفه المدلى من جانبه ، وعصا السلطة فى يده . ان هـــذه الشخصية البارزة كانت ايذانا بأن تمثل فى مظهره ، وتنبىء عما سيحدث ، الصرامة القابضة للصدر لشريعة القانون البيوريتانى ، التى كان مكلفا بتطبيقها فى صورتها القصوى حيال المذنبين . وما لبث أن دفـــع الى الامام بيسراه بالعصا الرسمية ، ووضع يمناه على كتف امرأة شابة جذبها قدمها على هذه الصورة ، الى أن زادته عند عتبة السجن بحـــــركة نمت عن وقـــار طبيعى وقوة شخصية ، ثم تقدمت الى الخارج وكأنما تتقدم بمحض ارادتها . وكانت تحمل بين ذراعيها طفلا يناهز عمره ثلاثة أشهر كان يطرف بعينيه ويشيح بوجهه الصغير عن ضوء النهار الشديد المبهر . فان وجوده فى هذه الدنيا لم يذر له أن يتألف حتى الآن ســـوى الغسق المربد فى سرداب أو ما يماثله من المثاوى المظلمة فى السجن .

وعندما تجلت المرأة الشابة ـ أم هذا الطفل ـ بكامل صورتها للجمع المحتشد ، بدا كأن حافزها الأول هـــو

ضم الطفل ضما وثيقا الى صدرها : لا بدافع المحبة الأموية ، ولكن ربما لكى تستطيع بهذه الحركة اخفاء شارة رمزية معينة كانت مطرزة أو مشبكة فى ثوبها . بيد أنها اذ قدرت بعد لحظة أن احدى شارتى عارها لن تنجح فى اخفاء الأخرى ، لم تلبث ان حملت الطفل فوق ذراعها ، وبحمرة متقدة فى وجهها ، وابتسامة مع ذلك متعالية ، ونظرة بعيدة عن الخجل والارتباك ، راحت تدير عينيها فى أبناء بلدتها وجيرانها . لقد ارتسم على صدر ثوبها الحرف الأبجدى الأول بنسج أحمر أنيق محفوفا بوشى من الخيوط الذهبية المطرزة بحواش بالغة حد الابداع حتى بدا كأنه وسام تحلى به صدر الثوب ، الذى كان هو الآخر آية فى الرواء والفخامة فى مطابقته للذوق السارى فى ذلك العهد ، والذى كان مع ذلك فوق المستوى المسموح به بموجب قوانين الانفاق فى ذلك الموطن .

وكانت المرأة الشابة فارعة ذات قوام هو الرشاقة الكاملة ، وشعر أسود غزير ، ومحيا جمع ملاحته من تناسق لقسمات ونضرة البشرة ، واستمد تأثيره الأخاذ من جبين ساطع وعينيين سوداوين عميقتين . وكانت الى هذا عنوانا للسيدة المكتملة المصقولة وفقا للمقاييس النسوية الرقيقة السائدة فى ذلك العهد . والحق أن ( هيستر برين ) لم تبد من قبل كما بدت الآن مثالا للسيدة المكتملة المصقولة وهى تبرز من باب السجن . ان الذين عرفوها من قبل ، وكانوا يتوقعون أن يشهدوها حائلة الضياء معتمة السناء بتأثير تلك السحابة المأساوية التى ظللتها ، قد أذهلهم ، بل روعهم ، أن يبصروا جمالها وقد تألق ، وكأن مصابها وعارها الماثلين قد صاغا هالة من حولها . وربما كان من الحق أن المدقق فيها باحساس

كان يطالعه منها ما يثير فى النفس لواعج أليمة بالغة الألم . كان ثوبها الذى أعدته خصيصا لهذه المناسبة ، وفى السجن ، والذى شكلته أكثر من مرة لكى يطابق هواها ومنازع نفسها ـ كان يبدو وكأنه يعبر عن حالتها الروحية وعن استخفافها البالغ حدة بما اتسم به هذا وذاك من غرابة عنيفة مؤثرة . بيد أن النقطة التى استرعت كافة الأنظار ، والتى اكسبت هيأتها طابع الجلال ـ الى حد أن الرجال والنساء على السواء ممن كانوا على معرفة معهودة بهيستر برين قد انطبع الآن فى نفوسهم أقوى الأثر وكأنما وقعت أنظارهم عليها لأول مرة ـ كانت ذلك ( الحرف القرمزى ) ـ الذى طرز فوق صدرها على هذا النحو الباذخ حتى كان له ذلك السطوع . لقد كان له تأثير السحر ، اذ أخرجها من نطاق البشرية المألوف ، وأحاطها بنطاق خاص حف بها وحدها .

## من كتاب : طاقات الشباب

بقلم : هنرى ديفيد ثورو

ان سواد الناس يعيشون حيوات هى اليأس الهادىء . وما يوصف باليأس هو فى حقيقة استسلام مؤكد . واذا تقلبوا بين المدن والأقطار فانما يتنقلون من مدينة مؤنسة الى قطر مؤنس ، ولا يملكون لأنفسهم من عزاء الا ما يملكه حيوان المنك أو فأر المسك من شجاعة مسلوبة . بل أن اليأس المقــولب كامن فى النفوس بلا وعى حتى وراء ما يسمونه الألعاب والترويح لبنى الانسان . أنها خلو من معنى اللعب والترويح ، لأنهما يأتيان بعد العمل الحق . ولكنها خصيصة من خصائص الحكمة ألا يقدم الانسان على الأعمال المتهورة .

وعندما نتدبر ، على نســـق التلقين بأسلوب السؤال والجواب ، ما هو الهدف الأساسى للانسان ، وما هى الضروريات والوسائل الحقيقية للحياة ، فانه يبدو لنا وكأن الناس قد اختاروا عن عمد الأسلوب العــــادى المألوف للعيش ، لتفضيلهم له على أى شىء آخر . لكن الطبائع النشطة الســـليمة تتذكر أن الشمس تشرق نيرة صافية من الشوائب . ولن يفـــوت الوقت أبدا للتخلص من أحكامنا المسبقة وأهوائنا المغرضة . ليس ثمة أسلوب للتفكير أو العمل ، مهما يكن من قدمه وعراقته ، يمكن الركون اليه ، بغير برهان أو اثبات . وما يردده كل

انسان او يمر به شأننا معرضنا كحقيقة راسخة في يومه ، قد يستحيل الى زيف فى غده ، وقد ينقلب الى مجرد دخان فكرى ، ركن اليه وعده سحابة يمكن أن تنثر مطرا مخصبا فوق حقولهم . وما يقول كبار السن أنه لا تستطيع له فعلا ، فانك تحاوله وتجد أنك فاعله . الأفعـــال القديمة للقدامى ، والأفعال الجديدة للمحدثين القدامى لم تكن عندهم المعرفة الكافية ، مصادفة ، للبحث عن وقود جديد لابقاء النار مشتعلة باستمرار . والمحـدثون قد وضعوا قدرا محدودا من الحطب اليابس تحت غلاية ، فاندفعوا يطوفون حول الكرة الأرضية بسرعة الطيور ، وكأنما يهزمون افكار القدامى ويقضون عليها . ان كبر السن أتم ولا أفضل جدارة فى مقام التعليم والتلقين من الشباب ، لأنه لم يجن ولم يحصل أكثر مما فقده وفاته . ويكاد الانسان يشك تماما فيما اذا كان أحكم الحكماء قد تعلم أى شيء له قيمة مطلقة بمجرد العيش وامتـــداد العمر . والواقع أن كبار السن ليس لديهم من النصح العام ما يقدمونه للشباب ، اذ كانت تجربتهم الخـاصة جزئية الى حد بعيد ، وحيواتهم كانت اخفاقات محزنة ، لأسباب ذاتية ، كما لابد أن يعتقدوا . وربما يكون لديهم شريعة من الايمان تمس هذه التجربة وتنال منها ، وأنهم مرّوا بها وهم بعد أصغر مما هم عليه . أننى عشت نيفا وثلاثين عاما على ظهر هذا الكوكب ، وما زال على ان اسمع من الأكبر سنا المقاطع الأولى للنصيحة العتمة او حتى الجادة . انهم لم ينبئونى بشيء ، وأغلب الظن انهم لن يستطيعوا انبائى بأى شيء محكم وفى محله . ها هنا الحياة أمامى ، تجربة لم أخض غمارها بنفسى الى حد بعيد . لكن لن يجدينى نفعا أنهم خاضوها من قبلى . واذا كان ثمة أمامى تجربة أظن أنها ذات قيمة ،

ففى يقينى انها ستكون التجربة التى لم يحدثنى عنها معلمى ولم يذكروا عنها شيئا .

قال لى أحد المزارعين : « لا يمكنك أن تعيش على طعام الخضروات وحده . لانه لا يزودك بشىء يبنى العظام » . وعلى هذا فهو يكرس شطرا من يومه بكل دقة لتزويد جهازه بالمادة الخام للعظام . وهو يمشى طول الوقت مستحثا ثيرانه ؛ تلك التى وان تكونت عظامها من الخضروات ، فانها تمضى به وترجه ومحراثه المتثاقل على طول الشقة بالرغم من كل عائق .. ان بعض الأشياء التى هى فعلا ضرورات حياة فى بعض الدوائر ، أشدها قصورا واعتلالا ؛ وفى دوائر أخرى مجرد ألوان من الترف ، وهى فى بعض ثالث غير معروفة تماما .

ان بعض الناس يبدو لهم ان دورة الحياة البشرية كلها قد درسها وراجعها أسلافهم ، أعاليها ووديانها ، وأنهم لم يتركوا شيئا الا أسبغوا عليهم تصببا من عنايتهم واهتمامهم . ولقد أثر عن ايفلين قوله : « ان سليمان الحكيم قد قدر لكل شىء ناموسه حتى ترتيب المسافات بين الأشجار . وقضاة الرومان قد قرروا الى أى مدى يمكنك أن تدخل أرض جارك لجمع جوز البلوط الذى يسقط فوقها دون أن يقع تعد على ملك الغير ، وأى نصيب يخص هذا الجار » . بل ان سقراط قد ترك حتى ارشادات تبين كيف ينبغى أن نقلم أظافرنا ، بحيث لا تكون أقصر ولا أطول . ولا شك أن الضجر والملل المسلم بأنهما يستنزفان بهجة الحياة وتنوع ألوانها هما شىء قديم من عهد آدم . لكن قدرات الانسان لم توضع لها قط المقاييس كاملة شاملة ، كما أنه ليس لنا أن نصدر الحكم على ما يستطيع فعله استنادا الى أية

سوابق ماضية ، اذ لم يتم أختبـــار وتجريب الا النزر اليسير . ومهما يكن من اخفاقك مرارا وتكرارا حتى الآن ، « فلا تحزن ولا تبتئس يابني ، فمن ذا الذي يكل اليك مهاما قد تركتها أنت بلا انجاز ؟ » .

## من كتاب : تاريخ هنرى ايسموند

**بقلم : وليام ميكييس تاكرى**

### دوق مارلبورو

والآن ، بعد أن راى مستر ايسموند مسيرة عسكرية كبرى فى بلد صديق ، ومظاهر الابهة والمهرجانات فى أكثر من بلاط ألمانى ، والقتال الضـــارى فى معركة حامية الوطيس ، ونشوة الانتصار فى المعركة . شهد مستر ايسموند بعد ذلك جانبا آخر من التكاليف العســكرية : الا وهو دخول جنودنا الى أرض العدو وتسليط النار والسيف على كل ما حوله ، من حرق المزارع ، وتخريب الحقول ، الى صراخ النساء ، وتقتيل الأبناء والآباء ، الى الجنود المخمورين الــذين يسبون ويعربدون فى صميم الدموع والفزع والقتل . لماذا تغفل ( ربة التاريخ ) بجلالها التى تجد البهجة فى وصف بسالة الأبطال ، وعظمة الفتوح ، لماذا تغفل هــذه المشـــاهد البالغة الوحشية والضعة والمهانة ، التى تشكل مع ذلك الى حد بعيــد الجانب الأكبر من دراما الحرب ؟ يا سادة انجلترا ، أنتم الذين تعيشون فى أرض الوطن فى طمــأنينة وتتمدحون بأناشيد النصر تتزلفون بها الى زعمائنا ــ وانتن ياكواعب الحسن اللواتى تلقين بأنفسكن فى السلالم حين تناديكن الأبواق والطبول هاتفات للجنود البريطانيين الرماة ــ هل جاء فى حسابكم جميعا ان هذه الأجزاء من عناصر المعركة تكمل مجموع الانتصار الذى به تعجبون ، وتشكل جزءا

نن وأجبات الابطال الذين انتم لهم مدللون لأ أن زعيمنا الذي تكاد تعبــــده انجلترا وأوروبا كلها ، باستثناء الفرنسيين فقط ، له صفات تشبه صفات الآلهة تتجلى فيما يلي . فهو في متعة من التأثر أمام النصر ، امام الخطر ، أمام الهزيمة . لقد كان على الدوام ، أمام أشد الصــعاب أو أمام أبسط المراسم ، أمام مائة ألف من الرجال على أهبة القتال ، أو فلاح ذبيح لدى جحره المحترق ، أمام وليمة صـــاخبة لعصبة من نبلاء المان مخمورين ، أو بلاط عاهل ، أو منضدة كوخ أعدت عليها خططه وعملياته ، أو بطارية مدفعية للعدو تقذف اللهب والموت وتنثر الجثث في كل ما حوله — كان على الدوام أمام كل هذا لا مباليا ، رابط الجأش ، موطد العزم ، كالقضاء المبرم . كان يمارس الخيــانة أو ينحني في البلاط ، كان يقول الزور حالكا كحلكة ( استيقص ) نهر الجحيم ، بالسهولة التي يزجي بها مجاملة أو يتحدث عن الطقس . كان يتخذ خليلة ثم يهجرها ، كان يعض يد المحسن اليه أو يأخذ بنــاصره أو حتى يقتله ، بنفس الهدوء دائما ، وبلا أدنى ندم . وفي ساعة المعركة سمعت ضباط أمير سافوى يقولون ان الأمير يستحوذ عليه لون من ضراوة المولع بالحرب ، فتبرق عيناه ، ويندفع الى هنا وهناك مهتاجا ثائرا ، صارخا يصب اللعنات والسباب أو يهيب مستحثا مشجعا ، هادرا يستنفر كلاب حربه المتعطشين لسفك الدماء ، وهو دائما على رأس موكب الصيد والقنص . ان دوقنا هذا هو على الدوام هادىء عند فوهة مدفع هدوءه لدى باب غرفة استقبال . ولعله ما كان يمكن أن يكون الرجل العظيم الذي كأنه لو كان قلب يتسع للحب أو الكراهية ، للتأثر ، أو الخوف ، للأسف أو الندم . لقد كان يمارس أشد الأعمال جرأة

وبسالة أو أعمق حسابات الفكر والتقدير كما يمارس أى عمل يمكن أن ينحط اليه انسان . لقد كان يدلى بالكذبة أو يغدر بامرأة متيمة أو يستحل من معدم مسكين نصف بنس بنفس السكينة المروعة وبالقدرة المتماثلة لممارسة أرفع واحط الأفعال فى طبيعتنا البشرية .

***

كانت صفاته معروفة تماما فى الجيش . حيث كانت توجد اطراف تمثل كافة الاتجاهات والمناورات السياسية ، وكل ألوان الدهاء والذكاء . ولكنما انعقدت له ثقة بالغة فيه كالقائد العسكرى الاول فى العالم ، وايمان واعجاب لا حد لهما بعبقريته وتوفيقه ، حتى استفاضت سمعته بأنه لا يتورع عن شىء ، فيغتال من الرجال أجورهم ، وينظر الى الزعماء الذين كان يستخدمهم ويسىء اليهم - اذ كان يستخدم كافة الرجال ، أكابر وأصاغر ممن كانوا يحتكون به ، كأدوات يستعين بها ويسخرها ، ويأخذ شيئا مما عندها ، صفة كانت أو شيئا مملوكا ، وقد يكون هذا دم جندى ، أو قبعة مرصعة ، أو مائة ألف جنيه ذهبا من ملك ، أو جزءا من جعل ديدبان متضور ، أو قبلة من امرأة ( فى شبابه ) مع العقد الذهبى الذى يطوق جيدها - فقد كان يأخذ كل شىء يستطيع من رجل أو امرأة . وكان الى ذلك يتصف بما أسلفت ذكره من صفات تشبه صفات الآلهة ، فكان يرى البطل يهلك أو الخطاف يهوى دون ان يخالجه رثاء لأحدهما . وليس معنى هذا أنه كان بلا دموع ، اذ كان بوسعه دائما أن يستعين بهذا المورد الاحتياطى فى اللحظة الملائمة للمعركة . كان فى قدرته ان يسخر الدموع أو الابتسامات على السواء ، وكلما

جدت الحاجة لاستخدام هذه العملة الرخيصة . كان في قدرته أن يتذلل الى ماسح أحذية ، وكان بوسعه أن يتملق وزيراً او عاهلا . كان في طاقته أن يكون متعاليا شامخا ، أو متواضعا ذليلا ، أو متوعدا متهددا ، أو نادما تائبا ، أو باكيا مستعبرا ، كان يستحل أن يقبل يدك أو يطعنك كلما وجد الفرصة سانحة مواتية . ومع كل ذلك، فان كل من عرفوه وخبروه جيدا في الجيش وقاسوا الأمرين على يديه ، كانوا أشد الناس اعجابا به . فاذا امتطى جواده يشق الصفوف الى المعركة ، أو ركض به يخف في اللحظة النهائية الحرجة لنجدة كوكبة من الجند تترنح أمام هجمة للعدو . أو كرة قاتلة ، سرعان ما كان الجنود والضباط المتهاوون يستمدون شجاعة وليدة حين تقع نواظرهم على الهدوء الرائع في قسمات وجهه ، واذا هم يشعرون أن عزيمته تجعل منهم قوة غلابة لا تقاوم ولا تقهر .

## من كتاب : ايفانهو

بقلم : سيروالتر سكوت

لقد تجلى الآن فى حلبة المتبارزين أروع وابهى مشهد . فقد اكتظت الشرفات المنحدرة بكل ما هو نبيل ، وعظيم ، وغنى ، وجميل فى الأقاليم الشمالية والوسطى بانجلترا ، وكان تبـــاين وتنوع الملابس لهؤلاء النظارة المبجلين قد اضفى على المشهد بهجة الى بذخه . على حين شكلت الساحة الداخلية والأدنى والتى امتلأت بالموسرين من أبناء المدن وصغار ملاك الأراضى فى انجلترا المرحة ، وهم بملابسهم الأكثر بســـاطة ، نطاقا أو حاشية أدنى الى القتام حول هذه الدائرة المزركشة ذات السناء والبهاء ، تخفف وتبرز فى نفس الوقت بالمغايرة بما فيها من أبهة .

واختتم المنادون مناداتهم بهتافهم المعتاد : « الكرم ، الكرم ، لفرسان الشهامة ! » ، وسرعان ما أخذت القطع الذهبية والفضية تنهال عليهم من الشرفات ــ اذ كان من أرفع درجات الفروسية اظهـــار الكرم والسخاء ، قبل أولئك الذين اعتبرهم عصرهم وســـــائط تسطر لهم صفحات الشرف فى سجل التاريخ . وقد قوبل بسخاء النظارة بهذه الهتافات التقليدية : « المحبة لكرام السيدات الموت للأبطال ــ الشرف للأجواد ــ المجد للبواسل ! » .

وأعقب هذا اشتراك المتواضعين من النظـــارة بالتهليل

والهتاف ، ومقترنا بصلاح أبواق طنانة حماسية من فرقة كبيرة . وعندما توقفت هذه الأصوات انسحب المنادون من الحلبة فى موكب بهيج لألىء ، ولم يبق فى جنباتها سوى الفرسان المرابطين المسلحين من قمة الرأس الى اخمص القدم ، الذين جلسوا فوق متون جيادهم جامدين كالتماثيل ، متقابلين على جانبى الحلبة . وفى هـذه الأثناء اكتظت الآن الساحة المسيجة عند أقصى الطرف الشمالى للحلبة ، رغم رحابتها ، بالفرسـان المنازلين المشوقين لاثبات براعتهم ضد الفرسان المرابطين ، وكان الناظر اليهم من الشرفات يصافحه مظهر بحر من الريش المتموج مختلطا بخوذات بارقة ورماح طويلة ، وفى أطراف هذه الرماح علقت فى حالات كثيرة أعلام مثلثة صغيرة بعرض شبر ، كانت رفرفتها فى النسيم تضفى مع خفق الريش المتأرجح نبضات حيوية الى المشهد .

وفى النهاية فتحت الحواجز ، وتقدم خمسة فرسان اختيرا بالقرعة ببطء الى داخل الحلبة ، يتقدمهم منازل وحيد فوق جواده ، ويتبعه الباقون زوجين زوجين . وكانوا جميعا مسلحين بصورة تأسر العين ويسجل المؤرخ السكسونى الحجة الذى استقى منه هذه الصور ، وصفا مستفيضا لزخرف شعاراتهم وألوانهـا ، ووشى أطقم جيادهم . وليس من الضرورى أن ندقق فى بيان هـذه الأشياء ، ويكفى أن نستعير قول شاعر معاصر لم يدبج سوى هذا النزر اليسير :

« فرسـان أضـحوا عظـاما ورفاتا »

« وسيوفهم المـاضية غدت حديدا صـدئا »

« وارواحهم فيما نؤمل مع القـدسين ثاوية »

ان شعارات نبالتهم قد بليت منذ مهد بعيد من فوق جدران قلاعهم المنيعة وقصورهم الحصينة، وقلاعهم ذاتها لم يبق منها سوى رواب خضر واطلال خربة . والمواطن التى عرفتهم بالأمس لا تعرفهم الآن وهى لهم منكرة ، اجل . كم من اجيال بعدهم قد توارت واندثرت وغدت نسيا منسيا فى ذات الأرض التى عمروها بكل سلطان للاك الاقطاعيين والأمراء الغـاشمين فما الذى يجدى القارىء الآن من معرفة اسمائهم وأشخاصهم ، وتعداد شعارات نبالتهم التى صارت الى زوال ؟ ..

***

والآن ، ومهما يكن من عدم رغبتنا فى استباق النسيان الذى ينتظر اسماءهم وافعالهم ، فقد تقدم الأبطال خلال الحلبة وهم يكبحون جيـادهم المتوثبة ويقسرونها على التحـرك فى بطء ، على حين كانوا فى نفس الوقت يستعرضون خطواتها الرشيقة جنبا الى جنب مع رشاقة وبراعة فوارسها . ولدى دخول الموكب الحلبة ، سمع صوت موسيقى عنيفة وحشية صادرا من وراء مضارب الفرسان المرابطين حيث كان عازفوها مختفين عن العيان. كانت الموسيقى من أصل شرقى ، جىء بها من الأراضى المقدسة ، وبدا كأن خليط الصاجات والاجراس يترجم عن الترحيب بالفرسان وهم يتقدمون ، وعن التحدى لهم فى نفس الوقت . وما لبث الفرسان الخمسة وأعين الحشد الحاشد من المتفرجين مسلطة عليهم ان تقدموا الى المنبسط المرتفع الذى قامت فوقه مضارب الفرسان المرابطين . وعندئذ تفرقوا ، وأخـذ كل منهم يلمس بطرف رمحه مقلوبا درع خصمه الذى اختار منازلته . والواقع ان هذه الحركة كانت أقرب الى ان تخيب آمال الطبقة الدنيا من النظارة بصورة عامة ، بل وآمال طائفة

كثيرة من الطبقة الأعلى ، بما فيها عديد السيدات ، اذ اختار الفرسان المنازلون سلاح المجاملة فى مستهل النزال المرتقب . ذلك لأن نفس هذا الطراز من الناس ، الذين يستقبلون فى أيامنا الحـــاضرة أعمق الفواجع ، بأعظم التصفيق والتهليل ، كان جل اهتمامهم موجها الى مباراة مسابقة تضارع فى مخاطرها أقدار الأبطال المتبارين .

***

وبعد أن اعلن فرسان النزال عن مقصدهم السلمى على هذه الصورة ، ما لبثوا أن كروا راجعين الى أقصى الحلبة ، حيث وقفوا مصطفين صفا واحدا ، على حين برز الفرسان المرابطون من مضاربهم وامتطوا جيـــادهم وهبطوا عن المنبسط المرتفع يتقـــــــدمهم بريان دى بوا جيلبرت وواجهوا فرادى الفرسان الذين لامســـوا بالرماح دروعهم ، كل أمام غريمة .

وعندما لعلعت الأبواق مدوية ، هجم كل على منازله بركض شديد .. ولقد تجلى فى الفرسان المرابطين من البراعة الفائقة أو يمن الطالع ما جعل أولئك المنازلين لكل من بوا جيلبرت ومالفوان وفرون دى بيف يتدحرجون الى الأرض . أما خصم جرانمسنيل ، فبدلا من يسدد رمحه مباشرة الى ريشة خوذه عدوه أو درعه ، انحرف انحرافا شديدا عن الهدف المباشر الى حد تحطيم سلاحه فى عرض غريمه ـ وهى عمليـــة تعـــد مخزية أكثر من الوقوع عن ظهر الجواد ، ذلك لأن الحركة الأخيرة قـــد تقع كحادث ، فى حين ان الأولى تنم عن التخبط والافتقار الى حسن معالجة السلاح وتوجيه الجواد . وكان الفارس الخامس وحده هو الذى حافظ على شرف فريقه ، وافترق متعادلا مع فارس سانت جون ، بعد أن حطم كلاهما رمحه دون ميزة لأحد الطرفين .

## من كتاب : أصل الأنواع

بقلم : تشارلز روبرت داروين

### الصراع من اجل البقاء

لا بد لى ، قبل الدخول فى موضوع هذا الفصل ، من ابداء بعض ملاحظات تمهيدية ، لكى أبين كيف أن الصراع من أجل البقاء يؤثر فى موضوع ( الانتخاب الطبيعى ) . لقد رأينا فى الفصل السابق انه يوجد بين الكائنات العضوية فى حالتها الطبيعية بعض ( المتغيرية ) الفردية . والواقع أننى لا أعلم ان هذه الحقيقة كانت قط محل نزاع . انه لشىء غير اساسى لنا ان كانت مجموعة وافرة من الأشكال المشكوك فيها تسمى أنواعا أو نويعات او ضروبا . وعلى سبيل المثال أية رتبة يجب أن تدرج فيها كائنات أو ثلثمائة من الأشكال المشكوك فيها من النباتات البريطانية ، اذا كان وجود أى ضرب محدد منها محل التسليم . ولكن مجرد وجود ( متغيرية ) فردية لبعض الضروب القليلة المحدودة وان كان ضروريا كأساس للعمل ، لا يساعدنا الا قليلا فى أن نفهم كيف تنشأ الأنواع فى الطبيعة . كيف وصلت الى درجة الاكتمال جميع تلك النماذج المتقنة للتكيف مع الطبيعة فى جزء من التنظيم بتكيف الى جزء آخر ، وتكيف الأحوال التى تصلح للحياة ، ولكائن عضوى يتكيف الى كائن آخر ؟ . اننا نشهد هذه التكيفات المشتركة الجميلة بأشد وضوح فى طائر نقار الخشب ونبات الدبق الطفيلى . ونراه بوضوح

أقل فى أدنى الطفيليات التى تعلق بشعر ذوات الأربع أو ريش طائر ، ونراه فى بنية الخنفساء التى تغوص فى المياه ، وفى البذرة المريشة التى يحملها أرق النسيم . وبالايجاز فاننا نرى تكيفات مع الطبيعة بديعة فى كل مكان وفى كل جزء من العالم العضوى .

ومرة أخرى لسائل أن يسأل : كيف يتأتى أن ضروبا مما أطلقت عليه اسم أنواع أولية ، تتحول فى النهاية الى انواع جيدة ومحددة ، وهى فى معظم الحالات تختلف اختلافا ظاهرا كل منها عن الآخر بأكثر كثيرا مما تختلف الضروب المتفرعة عن ذات الأنواع ؟ كيف يتأتى أن تنشأ مجموعات الأنواع التى تشكل مايسمى بالأجناس المتميزة، والتى تختلف أحدها عن الآخر أكثر مما تختلف أنواع نفس الجنس ؟ ان جميع هذه النتائج ، كما سنرى بصورة أوفى فى الفصل التالى ، مترتبة على الصراع من أجل الحياة وبسبب هذا الصراع فان الاختلافات ، مهما تكن يسيرة ومن أى مصدر تنجم ، وسواء كانت مفيدة بأى قدر لأفراد النوع ، وفى علاقاتها المعقدة لأقصى حد بالكائنات العضوية الأخرى وبظروف حياتها الطبيعية ، سوف تؤدى الى حفظ مثل هذه الأفراد ، وسوف تورث بصفة عامة الى ذريتها . وستكون للذرية ، أيضا هكذا فرصة أفضل للبقاء على قيد الحياة . ذلك لأنه من بين الأفراد الكثيرة لأى من الأنواع التى تولد دوريا ، لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة الا عدد قليل . اننى سميت هذه القاعدة ، التى بها يحفظ ويبقى كل اختلاف يسير ، ان كان نافعا ، باسم اصطلاحى ( الانتخاب الطبيعى ) ، لكى أحدد علاقتها بقدرة الانتخاب لدى الانسان . لكن التعبير الذى يستخدمه غالبا مستر هربرت سبنسر وهو ( البقاء للأصلح ) هو تعبير أكثر دقة ، وهو أحيانا ملائم

بنفس القدر . لقــد رأينا ان الانسان يمكنه بالانتخاب تأكيدا ايجاد نتــائج عظيمة ، ويمكنه تكييف كائنات عضوية لاستخداماته الخاصة ، من خلال تجميع اختلافات يسيرة ولكن نافعة تعطيهــا له يد الطبيعه . ولــكن ( الانتخاب الطبيعى ) ، كما سنرى فيما يأتى ، هو قوة مستعدة بلا انقطاع للعمل ، وهو أقوى من جهود الانسان الواهية مثل آثار الطبيعة بالنسبة للفن الصنعى .

سوف نناقش الآن بشيء من التفصيل الأكثر الصراع من أجل البقاء . ان هذا الموضوع سوف يعالج فيما يأتى من عملى بما هو أهل له من تفصيل أوفى . لقــد بين العالمان دى كاندول الــكبير وليل بافاضة وفلسفة أن جميع الكائنات العضوية عرضة لمنافسة قاسية . وفيما يختص بالنباتات ، فليس هناك من عالج هذا الموضوع بقدر أوفر من العزم والمقــدرة مثل و . هربرت عميــد مانشستر ، وهو ما يتضح نتيجة معرفته الواسعة بعلم المحصولات البستانية . انه لا شيء أسهل من التسليم فى كلمات بحقيقة الصراع الشامل من أجل الحياة ، ولا شيء أصعب — وهو على الأقل ما وجدته بذاتى — من ابقاء هذه النتيجة ماثلة فى الذهن على الدوام . ومع ذلك ، فما لم تغرس تماما فى الذهن ، فان كل نظم الطبيعة ، الى جانب كل حقيقة عن التوزيع ، والنــدرة ، والوفرة ، والانقــراض ، والتغــاير ، سوف ترى رؤية غائمة أو يساء فهمها تماما . اننــا نبصر وجه الطبيعة مشرقا بسرور ، ونرى كثيرا وفرة فائقة فى الطعام . ولكننا لا نرى ، أو أننا ننسى ، أن الطيور التى تغرد متكاسلة حولنا يعيش أكثرها على الحشرات أو البذور ، وانها بهذا تدمر الحياة باستمرار . أو اننا ننسى الى أى حد بعيد تجد هذه الطيور الفريدة أو بيضها أو أفراخها

الهلاك بأيدى الجوارح والوحوش . أننا لا نضع نصب اذهاننا دائما أن الطعام وان كان الآن فائق الوفره ، فهو ليس كذلك فى جميع الفصول فى كل سنة آتية .

***

ويجدر بى أن ابدأ بمقدمة هى أننى أستخدم هـذا الاصطلاح بمعنى واسع ومجازى ، يشمل اعتماد كائن واحد على كائن آخر ، ويشمل (وهو أهم) ليس فقط حياة الفرد ، بل كذلك نجاحه فى ترك ذرية . أن اثنين من فصيلة الكلبيات يمكن أن يقال بصدق انهما يتصارعان ، فى فترة مجاعة ، من أجل : أيهما ينال الطعام ويعيش . لكن نباتا على حافة صحراء يقال أنه يصارع من أجـل الحياة ضد الجفاف ، وان كان الوصف الأدق أن يقال أنه يعتمد على الرطوبة . والنبات الذى ينتج سنويا ألفا من البذور التى تصل واحد منها فقط فى المتوسـط الى طور النضوج ، قد يقال بصدق أكثر أنه يتصارع مع النباتات التى من نفس النوع ومع غيرها من الأنواع التى تكسو وجه الأرض . ونبات الدبق يعتمد على التفاح وعلى الأشجار الأخرى ، ولكن لا يمكن أن يقال الا بمعنى بعيد أنه يتصارع ضد هذه الأشجار ، لأنه اذا نمت كثرة زائدة عن الحد من هذه الطفيليات على نفس الشجرة ، فانها تذوى وتموت . ولكن تعدد النباتات الصغيرة لطفيل الدبق، التى تنمو متلاصقة على نفس الغصن ، يمكن أن يقال بصدق أكثر أنها تتصارع احداها مع الأخرى . ولما كان الدبق يتناثر بفعل الطيور ، فان بقـاءه يعتمد عليها . ويمكن أن يقال مجازا أنه يتصارع مع النباتات الأخرى حاملة الفاكهة ، فى اغراء الطيور لالتهام ونثر بذوره . بهذه المعانى والمفاهيم المتعددة ، التى تتداخل بعضها مع بعض ، فاننى أستخدم بقصد التيسير الاصطلاح العـام وهو : ( الصراع من أجل البقاء ) .

## من كتاب : الأب جوريو

بقلم : أونوريه دى بلزاك

كانت هى المرة الأولى التى دخل فيها أوجين حجرة الأب جوريو ، ولم يستطع أن يغالب شعور الذهول الذى استحوذ عليه لما طالعه من تباين صارخ بين الجحر الذى يقيم فيه الأب وبين زى الابنة التى أبصرها منذ فترة قصيرة . كانت النافذة بلا ستائر ، والجدران مرطوبة وقد تساقط عنها ورق الحائط المزخرف فى مواضع كثيرة وكشف عن الطلاء الأصفر المغبر من تحته . وكان الفراش الزرى الذى رقد فوقه الرجل الكهل لا يباهى بأكثر من دثار رقيق الحال ولحاف محشو بمزق كبيرة من ملابس مدام فوكيه العتيقة . وكانت الأرض مرطوبة رملية . وقام فى مواجهة النافذة صندوق ملابس بأدراج مصنوع من خشب الورد من طراز عتيق له واجهة ذات استدارات ومقابض من نحاس شكلت على هيئة سيقان كرمة ملتوية تكسوها الزهور والأوراق . وفوقه قطعة وقورة من الأثاث ذات رف خشبى كان ثمة أبريق وحوض صغير وأدوات حلاقة . وكان فى أحد الأركان حذاء ، وقرب الفراش خوان ليلى لا درج له ولا غطاء من رخام . ولم يكن ثمة أثر للنار فى المدفأة الخاوية ، وعن كثب منها قامت منضدة مربعة من خشب الجوز كان الأب جوريو يتناول فوقها طعامه . وكانت قبعته ملقاة فوق منضدة

صغيرة أخرى لا تصلح لشيء . وكان ختام قائمة الأثاث المتداعي مقعد ذو مسندين محشو بالقش ومقعدان عاديان . ومن ظله السرير تدلت رقعة من قماش رخيص عليها مربعات كبيرة حمراء وسوداء ، كانت مشدودة الى السقف بخرقة . ولو كان ثمة كادح عان مدقع يقطن فى غرفة بسطح بيت لما كان أسوأ مقاما من الأب جوريو فى مثواه هذا بنزل مدام فوكيه . فان مجرد النظر الى الحجرة قمين بأن يبعث قشعريرة فى كيانك ويثير احساسا بالغم والضيق .

لقد كانت فى الحق أشبه بأسوأ زنزانة فى سجن . ومن حسن الحظ ان جوريو لم يستطع أن يبصر الأثر الذى ولده هذا الجو المحيط به فى نفس أوجين وهو يضع الشمعة التى كان يحملها فوق الخوان الليلى .. وما عتم الرجل المنكود أن استدار فى مكانه متشبثا بالغطاء المكوم حتى ذقنه ، وقال :

ـ حسنا . وأيتهما تحب أكثر : مدام دى ريستو او مدام دى نيسنجان ؟

فأجاب الكاتب الحقوقى .

ـ اننى أحب مدام ديلفين أكثر . لأنها تحبك أنت أكثر .

فما أن سمع الرجل الكهل هذه الكلمات التى قالها الشاب ببالغ الحرارة حتى برزت يده من تحت الغطاء وتشبثت بيد اوجين وقال بامتنان :

ـ شكرا لك . شكرا لك . اذن فما الذى قالته عنى ؟

فكرر الطالب عبارات البارونة مضيفا اليها زخرفا من القول من عندياته ، والكهل يستمع اليه منصتا وكأنما يستمع الى صوت من السماء . وقال أخيرا :

ـ يا للبنية العزيزة ! نعم ، نعم . انها مخلصة الود لي . لكن لا يجب أن تصـــــدق كل ما تحكيه لك عن اناستازى . فلعلك ترى أن الأختين كلتـاهما تغـار من الأخرى . وهذا برهان آخر على المحبة والود . ثم ان مدام دي ريستو شديدة الود لي هي ايضا . وهذا ما أعلمه عنها ، فان الأب مطلع على سرائر أبنـــائه أقرب ما يطلع الخالق على سرائرنا جميعا . ان الأب ينفذ ببصيرته الى أعماق قلوبهم . انه يعرف نواياهم ومقاصدهم . وكلتا الابنتين حجته شديدة الحب . آه ، لو كان لكل منهما فقط زوج صالح-اذن لكنت سعيدا غاية السعادة ، ولى أن اقول ان السعادة غير مكتملة في مكانى هنا تحت . من لى بأن أعيش معهما ، أن أستمع فقط الى أصواتهما ، وان أشعر أنهما عن كثب ، وأن أراهما تذهبان وتجيئان مثلما اعتدت فى بيتنا عندما كانتا لا تزال معى . عجبا ! ان قلبى ليطفو لمجرد التفكير فى هـــــذا ... هل كانت ملابسهما جميلة ؟

فقال أوجين :

ـ نعم . لكن قل لى يا مسيو جوريو ، كيف تأتى أن ابنتيك لـكل منهما بيت جميل ، فى حـين أنك تقيم فى جحر كهذا ؟

فراح يقول بغير اكتراث متكلف :

ـ وكيف لي أن أريد أفضل مما أنا فيه ؟ لا أجد عندى القدرة الكافية لكى أشرح لك حقيقة الحال ، فاننى لم أعتد صياغة الكلام بدقة واحكام . لكن كل شيء كامن هنا ( قالها مربتا على قلبه ) . لعلك ترى ان حياتى الحقة ماثلة فى ابنتى الاثنتين . وطالما كانتا ســـعيدتين ، تتقلبان فى الثياب الأنيقة ، وتغوص أقدامهما فى البسط الناعمة ،

فماذا يعنيني من ثياب تكسوني أو من مضجع أرقد فيه ليلي ؟ لن أشعر قط بوطأة البرد ما دامتا مستدفئتين . ولن احس أبدا بكآبة ما دامتا ضـــاحكتين . ليست لى متاعب الا متاعبهما . وعندما تصبح أبا أنت أيضا وتسمع أصوات أطفالك الرقيقة. فسوف تقول لنفسك : « كل هذا من صلبى أنا » . سوف تشعر أن أولئك الصغار لصيقون بكل قطرة دم في عروقك ، وأنهم زهرة حياتك حقا ( وماذا هم غير ذلك ؟ ) . سوف تلتصق بهم ايما التصاق حتى ليبدو أنك تستشعر كل حركة تصدر عنهم . حيثما كنت فانني اسمع أصواتهم ترن فى أذنى . لو مسهما حزن فان نظرة من أعينهما تجمد دمي . يوما ما سوف تكتشف ان ثمة من السعادة فى سعادة الغير ما يكون أكثر من سعادتك بذاتك . هذا شيء لا أستطيع له تفسير ، شيء فى وجدانك يرسل جذوة من الدفء فى سائر كيانك . صفوة القول أننى أعيش حياتى ثلاثا . هل أقول لك شيئا طريفا فكها ؟ ليكن اذن . انني منذ أصبحت أبا تقدمت درجات فى معرفة الخالق . انه تعالى ماثل فى كل مكان فى الوجود ، لأن الوجود بأجمعه منبثق منه . وهذا شبيه بحالى مع أطفالى يا سيدى . ان محبتى لابنتى أقرب الى أن تكون من هـــذا الحب الالهى ، وان كانت ابنتاى أجمل منى وأصفى . ان حياتهما موثوقة بحياتى الى حد أننى كنت أحس على نحو ما أنك سوف تراهما هذه الليلة ، يا اله السموات ! لو كان لرجل أن يجعل ديفلين الصغيرة تذوق من السعادة كزوجة ما يجب أن تذوقه الزوجة التى يخلص لها الزوج حبه ـ اذن لنظفت حذاءه وصقلته وقمت على خدمته راضيا . ان مسيو دي مارساى هذا المنكود لهو كلب حقير . اننى أعرف كل شيء عن افاعيله من وصيفتها . اننى أتوق بين حين

وآخر الى اعتصار عنقه . أنه لا يحبها ! لا يحب امرأة هى جزهرة بين النساء . لها صوت كتغريد البلبل وصوره صيغت كتمثال رائع . أين كانت عيناها عندما تزوجت ذلك الألزاسى المكتل المكتنز ؟ كان الاحرى بكل منهما أن تتزوج شابا وسيما دمثا طيب الخلال — لكن ؛ مهما يكن من شىء ، فقد كانت لكل منهما حرية الاختيار .

## من كتاب : لارفنجرو

بقلم : جورج بودو

قيل على لسان هذا الكاتب أو ذاك ، ولا أكاد أعرف من القائل ، انه على قدر ما نتقدم في العمر ونكتهل ؛ ويغدو أجلنا قصيرا ، فانه يمضي بنا أسرع خطوا ، حتى اذا اقتربنا فى النهاية من حافة القبر ، اتخذ العمر سرعة واندفاع نهر يوشك أن ينحدر سراعا الى الهاوية . وهذا هو الحال من غير شك ، بشرط أن يتاح لنا أن نحمل الى القبر تلك الأفكار والأوهام الحلوة التى تجعل وحدها الحياة سائغة ، والتى نتعلق بها مسرورين حتى الى آخر رمق . لكن ماذا عن سرعة الزمن ، حين يرى العقل بطلان مساعى البشر ؟ وهو ما سوف يكون حقا عندما تصيب الآفات أعز آماله وأحبها فى ابان الوقت الذى خال فيه أن المحصول أضحى بمأمن من العوادى . ماذا عن قصر الزمن واقتراب الأجل كما أكرر القول ؟ اننى لا أطرح هذا السؤال لأولئك الذين لم يعرفوا قط تلك التجـــربة ، فانهم راضـــون عن أنفسهم وعن كل ما حولهم ، عن كل ما فعلوا ، وكل ما يؤملون أن يفعلوه . ان البعض يحملون أوهامهم معهم الى حدود القبر ، بل حتى الى ذات اللحظة التى يلقون فيهـــا بداخله . ان سحابة ذهبية جميلة تلفهم حتى آخر لحظة ، هم وكل من يماثل هذا الكلام عن قصر الزمن : فمن خلال تلك السحابة

كانت الدنيا عالما مبهجا بالنسبة اليهم . وآساهم الوحيد أنهم سرعان ما يفارقونهـــا . لكن حنانيك ايتها القلوب العزيزة الفارقة في الأوهام ؛ فليس كل انسان له مثل حظوظك السعيدة .

لبني البشر على وجه العموم . لا فترة من الزمن تعادل فترة الشباب . ان السواد الأعظم من الناس بعيدون عن الحظ السعيد . ولكن فترة الشباب ، حتى لأقل النـــاس حظا منها ، تزجي لحظـــات من السعادة العظمى ؛ لأنهم ليسوا فقط مبالين بطبعهم الى الاستمتاع بمعظم الأشياء التي في متناولهم ؛ بل انهم لقادرون على ذلك . وما أكثر الأشياء الزهيـــدة التافهة التي نرضى عنها ونسعد بها في تلك الفترة . فيها تبهجنا تلك الأشياء التي لو عرضت لنـــا في الحياة الآخرة لزهدنا فيهــــا وازدريناها ؛ اذ تكون وقتها في قلب سحابة ذهبية ، وكل شيء يبدو لنا مغلفا بلون ذهبي . ولم يحدث في اية فترة من حياتي أن جرى الزمن على نحو اسرع مما جرى خلال العامين أو الثلاثة التي اعقبت مباشرة تلك الفترة التي وصلنا اليها في الفصل السابق من هذا الكتاب . ومنذ ذلك الحين بدأ يبطء ويتواني . وأحيانا كان يبـــدو وكأنه توقف جامدا تماما . وقد يستطيع القارىء أن يقدر في سهولة كيف يجري الوقت وكيف يدور الزمن في الوقت الراهن ؛ من معنى امســـاكي بالقـــلم والسعي الى كتابة وقائع حياتي — وهو الملاذ الأخير لمعظم الناس . لكن في تلك الفترة التي المعت اليها، كنت أوشك على الدخول الى الحيـــاة كما يسوغ لي ان اقول . انني اتخذت لنفسي مهنة ، ولكي أبقى على اطلاع طيب في الحيـــاة ، فقـــد اصطنعت لنفسي في ذات

الوقت الى جانب تلك المهنة دراسة لغة جديدة . وسرعان ما نبغت فى احدى الصفتين ، ولكننى ظللت مبتدئا فى الثانية ـ مبتدئا فى مهنة القانون ـ ولكن ضليعا متمكنا فى لغة أبناء ويلز .

نعم . تلك كانت أوقاتا جد مبهجة عندما كنت أجلس فى رحاب مكتب شاهق خشب الصنوبر ثمانى ساعات كل يوم أنسخ ( متصورا عيونا تشخص الى ) وثائق من كل لون وبكل خط مقروء ، فكان بلاكستون يزامل ( آب جويلم ) ـ والأول محـام انجليزى لامع من أبناء القرن الماضى ، دبج فصولا مطولة مضجرة عن حقوق الأشياء ، والثانى شخصية جامحة معينة من أبناء ويلز ، نظم منذ نحو أربعمائة عام قبل ذلك العهد أشعارا وملاحم مهداة الى زوجات زعماء عشـائر فى اقليم كامبرى ـ وعلى الأخص واحدة تدعى مورفيد ، وكانت زوجة رجل أحدب من الأعيان أطلق عليـه الشاعر اسـما مستعارا هو ( بوا باخ ) ـ وكانت منظومة تنتهى بطلب متواضع هو السماح له بحديث خاص قصير تحت الأغصان الخضراء ، بغير ما شهود سوى نبات الخس الملعقى أو طائر البلبل ، وهو مطلب اذا صدق فيه الشاعر لم يكن عسير القبول . وانها لمصادفة غريبة حقـا أن يجتمع ( آب جويلم ) وبلاكستون وهما شخصيتان متباينتان الى أبعد حد ، فى صعيد واحد على تلك الصورة ! ان ما عرفه القارىء عنى حتى الآن ، يجعله مستعدا لكى يرانى أقرأ لصاحب الشخصية الأولى . ولـكن ما الذى أمكن أن يغرينى باحتراف مهنة بلاكستون ، أو بالأحرى المحاماة ؟

اننى أحببت على الدوام أن أكون صريحا بقـدر ما يمكن ، ولعلى لهذا الاعتبار لم أبلغ قط مرتبة البراعة

فى القانون ، الذى يقال ان جوهره هو الغموض . ولكن والدى وجدا أنه من اللازم أن اتخذ لنفسى مهنــة ؛ وحددا لى القانون . وكانت مهنة القانون مقبولة عندى كأية مهنة أخرى فى متناولى ؛ وهكذا اتخذت القانون ، وكانت النتيجة أن بلاكستون وجــد نفسه . ربما لأول مرة ؛ فى رفقة ( آب جويلم ) . وباحترافى للقانون لم انقطع عن أن أكون لارفنجرو .

هكذا كنت اجلس الى المكتب ساعات كثيرة فى اليوم، متظاهرا بالانهماك فى نقل وثائق من مختلف الأنواع . وكان مسرح هذا الجهد الشاق بيتا عتيقا غريبا ؛ يشغل جانبا من فناء طويل ضيق ؛ لم تكن النوافذ بأكملها تطل عليه ، ولكن على حديقة مترامية مليئة بأشجار الفاكهة ، قائمة خلف بيت كبير حسن الرواء ، يمتلكه رجل من الأكابر ، رضى أن يتولى تلقينى احاجى القانون الانجليزى الأغر . آه ! ليتنى كنت استطيع وصف هــذا السيد الفاضل بالأسلوب الذى هو أهل له . فقد غيب منــذ وقت طويل فى قبو كبير فى رواق كنيسة كبيرة ، فى حين تقوم لوحة رخامية كبــيرة على الجدار المقابل تسترعى نظرة شاردة لمن يقرأ فى كتاب الصلاة يوم أحد ، فتنبئه بأن رماده ثار تحت هذا المكان . ولكن يضمن مثل هــذا التوقير بعد الموت ، فقد عاش حياة موقرة كل التوقير ، ولا يسخر أحد من هذا ، فانه حقق الكثير . كانت حياته وادعة هادئة ، وكذلك كان موته . فهل هــذه اشياء تافهة ؟ كم اتمنى لو كان بوسعى أن أصف هذا الرجل ، فقد أحببته ، ولهذا ما يبرره ، اذ كان ودودا نحوى ، أنا الذى لم أظفر دائما بالمودة ، وكان الى هذا طرازا فذا من الناس لا وجود لمثله الآن بين ظهرانينا ، محاميا كريما من أبناء المدرسة القديمة .

من كتاب : محنة ريتشارد فيفريل

بقلم : جورج مريديث

## ريتشارد ولوسى

## أنشودة رعوية

اذا جعلتنا الطبيعة ناضجين للحب : فقلمـــا تتوانى الأقدار فى تزويدنا بمعبد لشعلته .

***

كانت الزنابق الذهبية والبيضاء تتمايل فى مهـدها بين الأقصاب عن كثب من السد المائى الذى بدت مياهه مخضرة بارقة ، واكليلية المروج تتـدلى من الشطئان متكاثفة بالحشائش المائية والعليق ، وفى هذا المحيط ربضت أيضا فتاة من أهل هذه الأرض . كان محيـاها تظلله قبعة قش عريضة ذات حافة لينة تركت شفتيها وذقنها فى الشمس ، وتجلت من تحتهـا اذا تحركت عينان جياشـتان . وحول منكبيها ومن خلفها كانت تتموج خصلات كبيرة من الشعر المرسل كانت تبـدو بنية فى الظل وذهبية حيثمـا كانت تلامسها أشـعة الشمس . وكانت ترتدى ملابس بسيطة ملائمة لأسباب الحشمة ومتمشية مع الموسم . ولو دققت النظر اليها لرأيت شفتيها مبقعتين . فقد كانت هذه الانسانة الفتية الناضرة تستمتع بثمار التوت النامية فيما بين الضفة والمياه ، والظـاهر أنها وجدت هذه الفاكهة موفورة ، اذ أن يدها كانت فى حـركة دائبة الى فمهـا . والشباب المفرط الحسى الذى يرتاع وينفر من المرأة

التى تسعى الى تسمين قوامها الأنيق بالخبز والزبدة ، والذى يفضل بسعادة واغتباط أن يراها ( وهو ما لابد أن نظنه ) ضامرة ناحلة كى تكون فى صورتها الشاعرية المنشودة ــ هذا الشباب عسير عليه ان يعترض على تناولها للتوت . والحق ان عملية أكل التوت عملية انيقة دقيقة وتدعو الى التفكير . ان التوت شقيق للخس ، وشقيق برىء . أنت اذ تأكل فان فمك ، وعينك ، ويدك ، مشغولة كلها ، ولكن عقلك لا ينشغل ويظل طليقا لكى يحلق . وهكذا كان الشأن مع البنية التى جثمت فى هذا المكان . لقد حلقت القبرة الصغيرة من فوقها صادحة بالغناء شطر الغمامة الجنوبية الرقيقة المنتشرة على امتداد الأفق . ومن ايكة ندية قامت ظليلة فوق قبعتها الخافقة ، صفر الشحرور يناديها بنغم ثلاثى رخيم .

ومن صميم أشجار الصفصاف المخضرة مرق طائر الرفراف زمرديا بارقا . وحلق مالك الحزين بجناحيه القوسين عاليا يلتمس العزلة . وتسلل قارب يدنو من الفتاة وبه شاب حالم . ومع ذلك فانها ظلت تقطف الثمار وتأكلها مستغرقة فى تأملاتها وكأنه ليس ثمة أمير أحلام اخذ يغزو معقلها ، وكأنها لا تتمنى أميرا كهذا ، وكأنها لا تعرف رغباتها . لقد كانت الفتاة وهى محفوفة بالمروج الخضراء الغضة ، وفى ابان الصيف الخافق باختلاجات الريف ، ومياه السد تتدفق هادرة مزبدة ، وانفاس الأزهار البرية الجميلة تعبق فى الجو كله ــ كانت الفتاة انعكاسا للحياة البشرية البديعة فى اطار خيالى مونق . فما أرهبها من جاذبية . ان الشاب المغنطيسى الجاذبية مال عن كثب لكى يقدر مدى قربه من حشائش السد الملتفة ، فاستوعب هذا

المشهد البديع . واذا الطبيعة كلها تسكن وتزيد سكونا كما يحدث عنــد التقـاء غمامتين مكهربتين ، كانت وقفتها رشيقة بالغة الرشاقة حتى أنه لم يجسر رغم اتجاهه قدمـا الى السد النباتى أن يغمس فى المياه مجدافا . وفى هذه اللحظة بعينها استرعت نظر الفتاة توتة شديدة الاغراء . وكان يحوم بالقارب عن كثب دون ان تفطن اليه ، فراى يدها تمتد الى أسفل ولا تستطيع ان تنال ما كانت تلتمسه . وبخفة من مجدافه الأيمن وصل الى جانبها . فرفعت الفتاة نظرها مروعة ، واذا كيانها كله يهتز فوق الحافة . فوثب ريتشارد من قاربه الى المياه . ووضع يده تحت قدمها التى دفعتها الى جانب الضـــفة المبتل المتساقط لكى تتقى السـقطة الوشيكة ، وأعانها على استعادة توازنها والوصول الى الأرض بسلام ، وبعد أن شجعه هذا الحادث ، لمس أطراف أناملها ، وتبعها على الأثر .

## من كتاب : الدير والبيت

**بقلم : تشارلز ريد**

كان لابد من قراءة الاعلان عن الزواج ثلاث مرات كما كان يحدث فى أيامنا ، مع هذا الفارق ، وهو أنها كانت تقرأ عادة كل يوم من أيام الأسبوع ، وقد استطاع الخطيبان الشابان اقناع راعى الابرشية بسهولة باتمام القراءات الثلاث فى أربع وعشرين ساعة . فقد كان جديدا فى المنطقة ، وكانت نظراتهما أفصح ترجمان عن حالهما . وقد نودى بالاعلان يوم الاثنين فى صلوات الصباح والمساء ، وكان ابتهاجا بالغا اذ لم يكن أحد من اهل تيرجو حاضرا فى الكنيسة . وفى صباح اليوم التالى حضر كلاهما الى الكنيسة وهما يرتجفان قلقا ، عندما انبرى شخص غريب وقد تملكهما الفزع وعارض اعلان الزواج على أساس أن المرشحين دون السن القانونية ، وأن والديهما لا يوافقون على عقد الزواج .

وفى خارج الكنيسة عقدت مرغريت وجيرار مؤتمرا للتشاور وهما راجفان مشفيان على اليأس . ولكن قبل أن يستطيعا الاتفاق على شيء اقترب منهما الرجل الذى ابتدرهما بهذه الاساءة وسعى الى افهامهما أنه قد أسف غاية الأسف لتدخله ، وأن مقصده هو تعزيز سعادة الشابين ، ولكن حقيقة الأمر هى ان وسيلته الوحيدة للحصول على ما يقوم بأوده هى احباط الاعلانات عن

الزواج . فما العمل اذن ؟ وردا على هذا السؤال قال الرجل : « ليعطنى الشابان خمسة شلنات وأنا أبطل ما فعلت على أحسن صورة : سأقول للراعى أننى كنت مخطئا ، وسوف يتم كل شيء على ما يرام » .

فقال جيرار بلهف :

ـ خمسة شلنات ؟ سوف أعطيك جنيها ذهبيا كي تفعل هـذا .

فوافق الرجل بمثل لهفـة جيرار ، وذهب معه الى الراعى وأخبره أنه قد أخطـأ بصورة سخيفة ؛ ولكن مشهد المرشحين للزواج قد صحح خطأه . وبهذا وافق الراعى على تزويج الشابين غدا فى الساعة العاشرة ، ومضى هادم السـعادة المحترف الى بيته ومعه جنيه جيرار الذهبى . ومثل أغلب أولئك الأوغاد البارعين فى المكر ، فانه كان الى هذا أحمق يشار اليه بالبنان . ذلك أنه ذهب يعاقر الشراب بالجنيه فى حانة معينة فى تيرجو كان يقربها مرج مخصص للرماية بالقوس وغيرها من الألعاب السـائدة فى ذلك العهد . وما أن ثمل من الشراب حتى انبرى يفاخر بما كان من مغامرته فى يومه ذاك . وكان ممن يغشون المكان واحد من رواده المدمنين هو سيبراندت النمام الذى تشبع بكل كلمة قالهـا المتفاخر . فهرع سيبراندت الى بيته لكى يخبر والده بما كان . ولكن والده لم يكن فى البيت . فقد ذهب الى روتردام لابتياع أقمشة من تجار المدينة . فاسترعى نظر أخيـه الأكبر وأومأ اليه أن يخرج ، وقص عليـه ما سمعه .

وفى كل أسرة كبيرة تقريبا أفراد تافهون ، وكان

هذان التافهان أخوى جيرار . والتبطل مفسده . وانتظار موت أولئك الذين ينبغى أن نحبهم مفسدة . وكان هذا الخسيسان المتماثلا الفكر على استعداد لتمزيق اى أحد حتى الموت يمكن أن يمس الميراث الذى كان شاغلهما الشاغل بالنهـــــار وحلمهما اللازم بالليل . وكان تقتير أبويهما مزية . لما كان يصحبه من كد ومثابرة . وكان الدافع اليه هو محبة ابنــــائهما . ولكن هذه الفضيلة الحانية بدت فى نظر هذه القلوب الفاسدة الانانية صنوا للبخل .

لقد تشاور الاثنان مليا . واتفقا على ألا يفاتحا فى الامر أمهما وهما يعرفان مشاعرها المتقلبة . وانمـــــــا يقصدان الى عمدة البلدة . وكانا من المكر بحيث أدركا أنه كاره لهذا الزواج ، وان لم يستطيعا أن يتكهنا العلة لذلك .

وقد أدرك جيسبرخت فان سويتن مراميهما الخفية من فوره ؛ بيد أنه حرص على ألا يدعهمـــــا يدركان مراميه .

فاستمع الى قصتهما ، وقال فى النهاية مصطنعا وقار المنصب وبروده :

ــ لما كان رب الأسرة غير موجود هنا ، فان واجبه يقع على كاهلى وأنا أب لهذه البلدة . انني عليم بفكر أبيكما . فاتركا كل شيء لى . وفوق كل شيء لا تبوحا لامرأة بكلمة عن هذا الأمر . وخاصة نساء بيتكم . لأن الألسنة الثرثارة تفسد أحكم الخطط .

وهكذا صرفهما فى شيء من التعالى . وكان فى الحق خجلا من شريكيه فى المؤامرة .

وعند عودتهما الى البيت وجدا شقيقهما جيرار جالسا على مقعد واطىء عند ركبة أمهم . وهى تربت على شعره بيدها وتكلمه بكل عطف وتعد بأن تشد أزره عند أبيه ولا تقاوم حبه بعد . وكان السبب الأساسى لهذا التغيير فى فكرها خصيصة من خصائص المرأة . وكانت هى التى عمدت فى لحظة استياء أنثوى الى تمزيق صورة مرغريت اربا . ولقد جعلت تراقب تأثير هذا العمل بشىء من الهواجس ، فرأت جيرار يمتقع امتقاع الموت ويجلس بلا حراك كمخلوق فقد ذويه وقد أمسك بين يديه بقصاصات الصورة وسمرت فيها عيناه حتى انبثقت فيهما الدموع وجعلت غشاوة على بصره . وعندئذ روعها ما فعلت ، وشعرت بفؤادها يتصدع ، وبكت بكاء مرا . ولكنها ، وهى ما هى ، لم تجسر على الاقرار بشىء ، وانما قالت لنفسها : « لن أقول كلمة واحدة ، ولكننى سوف أسوى الأمر » . واشتد عطفها على ولدها ، وتهاوى عنفها المتكلف وذهب بددا ، وكانت تفضي لجيرار بمؤازرتها له عندما دخل عليها ولداها التافهان . ولم يعرف جيرار شيئا عن السبب المباشر لهذا التغيير . بل انه بعكس هذا ، وهو غير المتمرس بظواهر وبواطن النساء ، قد أخجلته رقتها وعطفها لما خامره من ظنون بأنها هى المتسببة فى هذا الحرمان الذى أوشك أن يحل به . فأقبل عليها يقبلها مرارا وتكرارا ، وأوى الى فراشه سعيدا كأمير وقد طابت نفسه بأن أمه كانت أمه من جديد فى اللحظة العصيبة من مصيره .

# من كتاب : جزيرة البطريق

بقلم : أناتول فرانس

« هيا بنا نأخذ عشوائيا واحدة من أناث طائر البطريق، تلك التى لا يعيرها الذكر الا أقل الاهتمام ، ولنزينهـا كأحسن ما نستطيع .

« ها هى ذى واحدة آتية نحونا . انها ليست أكثر حسنا ولا قبحا من غيرها . أنها شابة غضة . ولا أحد يلتفت اليها .وهى تتمشى متكاسلة على امتداد الشاطىء، تحك ظهرها وترفع اصبعها الى أنفهـا أثناء المشى . ولا يسعك الا أن تبصر ، أيهـا الأب ، ان لها كتفين ضيقتين ، ونهدين غير رشيقين ، وقواما متينا ، وساقين قصيرتين . وركبتاها الضـاربتان الى الحمرة تتغضنان لدى كل خطوة تخطوها ، وثمة عند كل مفصل ما يبدو أشبه برأس نسناس صغير . وقدماها العريضـتان القويتان تتشبثان بالصخرة بأصابعهما الأربع المعقوفة ، فى حين ينتأ الاصبعان الأكبر كأنما رأسا أفعيين خبيثتين . وهى حين تبدأ المشى ، تنهمك جميع عضلاتها فى هـذه العملية ، وعندما يقع نظرنا على العضلات وهى تعمل ، يدور فى أخلادنا أنها آلة خلقت للمشى أكثر منها آلة خلقت لممارسة الحب،وان كان من الجلى أنهاخلقت لكليهما، وأنها تشتمل فى داخلها على عديد من أجزاء الجهـاز

الآلى الى ذلك . لا بأس أيها الحبر الموقر . سوف ترى ماذا أنا فاعل وجاعل منها » .

بعد هذه الكلمات لحق الراهب ماجى بأنثى البطريق فى ثلاث قفزات ، فرفعها وحملها بين ذراعيه وشعرها يتدلى من خلفها ، ثم ألقى بها وقد اشتد بها الفزع عند قدمى الحبر مائيل .

وفى حين راحت الأنثى تبكى وتتوسل اليه ألا يفعل بها سوءا ، أخذ زوج ( صندل ) من صندوق أمتعته وأمرها أن تلبسه .

وقال الرجل الكهل معقبا :

ـ ان قدميها سوف تبدوان أصغر عند حشرهما وشد رباط الصندل عليهما . وسوف يكسب النعل الذى يبلغ سمكه قدر اصبعين ساقيها طولا رشيقا ، ويبدو القوام الذى تحملانه أكبر وأوفى .

وبينما كانت أنثى البطريق تشد رباط الصندل رنت بفضول الى ناحية الصندوق ، فلما رأتهمليئا بالمجوهرات والملابس المبهرجة ، لم تتمالك أن ابتسمت من خلال دموعها .

وعمد الراهب الى شعرها فعقده من خلف رأسها وكساه بأكليل من الزهور . وجاء بأساور من ذهب فحاطها بمعصمها ، ثم جعلها تقف مستقيمة ولف شريطا كبيرا من الكتان تحت نهديها ، بزعم أن صدرها سوف يكتسب بهذا جلالا طارفا ، وان خصريها سوف ينضغطان بما يؤدى الى بهاء أوفر للردفين .

وتولى تثبيت الشريط بدبابيس كان يأخذها واحدا واحدا من فمه .

فقالت له أنثى البطريق :

ـ يمكنك أن تشده أكثر من هذا .

وبعد أن فرغ من لف الأجزاء الفضة من صدرها في مزيد من العناية والتأمل الدقيق على هـــذه الصورة ، كسا جســـدها كله برداء طويل وردى اللون من نوع ( التنك ) اتسق بابداع مع خطوط قوامها .

قالت له أنثى البطريق :

ـ هل تراه محكما كما يجب ؟

ومالت برأسها الى جانب حتى لامست ذقنها كتفها وطفقت تتأمل باهتمام مظاهر زينتها وهندامها .

وسألها ماجي ألا تظن ان الثوب أطول قليلا ، بيد أنها ردت بثقة واعتـــداد .انه ليس كذلك ، فهى قادرة على رفع طرفه .

وعلى الأثر رفعت الجزء الخلفى من طرف الثـوب بيدها اليسرى وجذبته يميل حـول ردفيها مهتمة في نفس الوقت بكشف لمحـة من كعبيها . ولم تلبث أن سارت مبتعدة بخطا قصيرة وأرداف مهتزة .

ومضت فى طريقها دون أن تدير رأسها ، لكنها حين مرت بغدير نظرت من طرف خفى تستجلى انعـكاس صورتها .

والتقى بها مصادفة بطريق ذكر ، فتوقف فى طريقه بدهشة ، وما لبث ان عاد أدراجه وبدأ يتابعها . وعندما سلكت طريق الشاطىء خف اليها آخرون كانوا عائدين من صيد السمك ، وبعد أن نظروا اليها راحوا يسيرون من خلفها . ثم ان الذين كانوا رقودا على الرمال قاموا

هم أيضا وانضموا الى الآخرين .

وكلما تقدمت لم يكف ذكران البطريق عن متابعتها : منهم من هبطوا من شعاب الجبل ، ومنهم من برزوا من مفاوز الصخور ، ومنهم من خرجوا من الميـاه . كلهم ضاعفوا من حجم الحاشية التى مضت تتبعها .

كلهم بلا استثناء : رجالا بلغوا سن النضج من ذوى الأكتاف القوية والصدور الشعرة ، وفتيانا ذوى خفة ورشاقة ، وكهولا تهتز التجاعيد الكثيرة فوق بشراتهم الوردية أو البيضاء الشعر ، أو يجرون سيقانهم الناحلة اليابسة متوكئين على عصى من صنوبر كانت سيقانهم أشد منها فحولا ويبسا . واتخذت منها سيقانا توالت ، كلهم راحوا يسرعون الخطا من خلفها لاهثى الأنفاس . أما هى فقد مضت فى طريقها وادعة ساكنة ، وبدا كأنها لا ترى شيئا ولا تحفل بأحد .

## من كتاب : في عبودية الانسان

بقلم : سومرست موم

تجنب فيليب الأماكن التى عرفها فى أوقات كانت أسعد . ان الاجتماعات الصغيرة فى الحانة فى ( بيك ستريت ) لم تلبث أن انفضت : فان ماكاليستر ، بعد أن تخلى عن أصدقائه ، لم يعد يذهب الى هناك ، ومضى هايوارد الى ( الرأس البحـــرى ) . ولم يبق سوى لوسون . وعندما أحس فيليب أنه لم يبق الآن شيء مشترك يربط بينه وبين الرسام ، لم تعد تخامره رغبة فى لقائه . ولكن حدث بعد ظهر يوم السبت ، وبعـد العشاء ، ان غير ملابسه وخرج يتمشى فى شارع ريجنت لكى يذهب الى المكتبة العامة فى ( سانت مارتنز لين ) وفى نيته أن يمضى الأمسية هناك ، واذا هو يلقى نفسه فجأة وجها لوجه معه . وقد أوحت اليه غريزته للوهلة الأولى أن يمضى فى طريقه دون كلمة ، بيد أن لوسون لم يتح له فرصة لذلك .

فقد هتف به :

ـ أين كنت بحقك طول هذا الوقت ؟

فقال فيليب :

ـ أنا ؟

ـ انني كتبت اليك وسألتك ان تحضر الي المرسم لجلسة ولكنك لم تكلف نفسك حتى عناء الرد .

ـ انني لم اتلق رسالتك .

ـ لا ، أعرف هـــذا . انني ذهبت الى المستشفى للسؤال عنك ، ورأيت رسالتى فى حامل الرسائل . هل استقلت من العمل الطبى ؟

تردد فيليب برهة . ســـــاوره الخجل من قول الحقيقة ، ولكن الخجل الذى لابسه أغضبه ، وقسر نفسه على الكلام دون أن يتمالك من الاحمرار :

ـ نعم . لقد أضعت النقود القليلة التى كانت لدى . ولم يكن فى طاقتى أن أواصل العمل .

ـ أقول لك ان أسفى لشديد . وما تفعل بنفسك ؟

ـ أنا مشرف فى محل ملبوسات .

لقد احس فيليب ان الكلمات تخنقه ، لكنه صمم ألا يتهرب من الحقيقة . وركز نظراته علي لوسون ، فآنس منه الارتباك . فابتسم فيليب بغلظة ومضى يقول :

ـ اذا دخلت محلات ( لين وسيدلى ) ، واتجهت الى قسم ( الفساتين الجاهزة ) ، فسوف ترانى فى سترة فراك ، اتبختر وأرشـــد السيدات اللائى يردن شراء ( جونلات ) أو جوارب ، قائلا لهن : أول ركن الى اليمين يا سيدتى ، وثانى ركن الى اليسار .

أدرك لوسون ان فيليب يمزح ، فضحك مرتبكا دون أن يدرى ماذا يقول . ان الصورة التى ابتعثها فيليب قد روعته ، ولكنه أشفق أن يبدى عطفه ، وقال :

ـ هذا نوع من التغيير بالنسبة اليك .

فقال :

ـ الى حد ما . وبهذه المناسبة ، فاننى مدين لك بخمسة شلنات .

ووضع يده فى جيبه وأخرج بعض نقود فضية .

ـ أوه . هذا لا يهم . اننى نسيت هذه المسألة كلها .

ـ تقدم . خذها .

ـ أخذ لوسون النقود صـــامتا . وكانا واقفين فى وسط الرصيف حتى كان الناس يحتكون بهمـــــا فى مرورهم . وبدت فى عينى فيليب ومضة ساخرة جعلت الرسام يشعر بأشد الحرج والضيق ، ولم يستطع أن يجزم أن قلب فيليب كان مثقلا باليأس . وأحس لوسون بحاجة عنيفة لكى يفعل شيئا ، بيد انه لم يعرف ما الذى يفعله .

قال :

ـ اسمع . الا تأتى الى المرسم لنتكلم ؟

فقال فيليب :

ـ لا .

ـ ولم لا ؟

ـ ليس ثمة ما نتكلم عنه .

رأى الألم يرتسم فى عينى لوسون ، ولم يكن له حيلة فى هذا ، وشعر بالأسف ، لكن كان عليه أن يفكر فى شخصه ،فلم يكن بوسعه أن يطيق فكرة مناقشة وضعه وموقفه . كان يطيق هذا فقط بالتصميم الجازم على عدم التفكير فيه . كان يخشى ضعفه لو انه بدأ مرة فى فتح مغاليق قلبه . وفضلا عن هذا فقد كان نفوره

غلابا وكراهيته عارمة للأماكن التى كان فيهـــا تعسا شقيا : كان يتذكر الهوان الذى كابده حينما جلس فى ذلك المرسم ، والجوع يفرى أحشاءه ، ينتظر من لوسون ان يمنحه أكلة ، وتذكر تلك المناسبة الأخيرة حين انتزع منه الشلنات الخمسة . لقد كان يكره مشهد لوسون ، لأنه كان يعيد الى الذكرى تلك الأيام المفعمة ، بالاذلال المطبق .

قال لوسون :

ــ اذن فاسمع منى . تعال وتناول العشاء معى الليلة . ولك أن نختار الليلة التى تروقك .

لقد تأثر فيليب بطيبة الرسام . وبدا له أن الناس من كافة الألوان والطبـائع يختصونه بالطيبة على نحو غريب .

# من كتاب : حكايات العجائز

بقلم : أرنولد بينيت

هل كانت كونستانس سعيدة ؟ لقد كان ثمة بالطبع شيء يشغل بالها دائما ، شيء ينبغي علاجه وتسويته ، سواء في الحانوت او في البيت ؛ شيء يستغرق كل ما أوتيت من مهارة وخبرة . ان حياتها كان فيها الكثير من بواعث الملل المضني ، ملل لا نهاية له قط ولا حدود للتبرم به . وكانت هي وصمويل يعملان كلاهما عملا متواصلا شاقا ، يستيقظان مبكرين ، ويأويان الى الفراش مبكرين من فرط الكدح ، أسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر ، على مدار تغير الفصول وتداخلها بغير حدود مدركة . وفي شهري يونية ويولية فقط كان يعني لهما أحيانا أن يأويا الى الفراش قبل أن ينحسر من السماء آخر ضوء فضي قبيل الشفق ، وعندئذ كانا يتمددان في الفراش ويتبادلان الحديث في دعة عن شئونهما اليومية . وفي خلال ذلك يرقى الى سمعهما ضجيج في الشارع أسفل منهما ، فيقول صمويل متثائبا : « الدكاكين تغلق أبوابها ! » ، فترد كونستانس قائلة : « نعم الوقت متأخر » ، ويقترن هذا بالدقات السريعة للساعة السويسرية برنينها المتجاوب . وعندئذ قد يعن لها ، قبل أن تستسلم للنوم ، أن تفكر في حظها من الحياة وتستعرض قدرها المقسوم ، كما تفعل كل

امرأة عانية كانت أو مترفة ، فترى فى النهاية أنه حظ طيب وقدر مرضي . ذلك وان كانت حالة أمها الصحية المتفاقمة وعزلتها تثيران فى نفسها الحزن . والواقع أن البطاقات البريدية التى كانت ترد بين حين وآخر من صوفيا على فترات متباعدة كانت أكثر انبعاثا للحزن والنزح منها للفرح والبهجة . فقد دلت وانقضت منذ أمد بعيد تلك المباهج الساذجة التى كانت طابع أيامها الفتية ، وهذا هو الثمن الذى كان عليها أن تدفعه لكى تنال الخبرة والتمرس الذاتى ورباطة الجأش وصدور البصر بالأمور . نعم أنها لم تكن بمنجاة من عوامل القلق والاكتئاب الفاشية فى الناس جميعا والتى هى ديدن الحياة ، بيد أنها عندما استسلمت للنوم كانت أدنى الى لون من الرضا المبهم . وقد كان أساس هذا الرضا هو الحقيقة الماثلة فى أنها هى وصمويل كانا يفهمان أحدهما الآخر ، ويحترم أحدهما الآخر ، ويتسلح كل منهما مع صاحبه . ان طباعهما قد تعرضت للتجربة والامتحان ، فصمدت فيما تعرضت له . ولم تكن المودة ولا الحب بالنسبة اليهما ظاهرة بارزة فى علاقاتهما فقد كان من الحتم أن تنال السعادة الجارية من هذا البريق وتغشى لمعانه .

أما صمويل فانه لم يكلف نفسه قط ، أو لم يكد يكلفها ، عناء التفكير فى هذه المشكلة : مشكلة ان الحياة قد واتته كما يجب وطابقت توقعاته . لكن كانت تخامره، فى بعض الأحايين ، أحاسيس غريبة لم يواجهها بالتحليل وكانت أقرب الى الغبطة منها الى أى من أحاسيس كونستانس . وهكذا فانه كان اذا استبد به الغضب والهياج لشيء ما ، يتفكر فجأة فى هدوء زوجته الأبد وسكينتها العذبة التى لا تتبدل ولا ينال منها شيء ، واذا

هو ينحاز الى الفتور بل الى برود لا يخلو من العجب .
لقد كانت فى نظره مثال الأنوثة المذهلة . كانت تضع الأزهار فوق رف المدفأة ، ثم بعد ساعات من ذلك ، وهما فى ابان الطعام ، اذا هى تسأله بغتة عن رأيه فى (حديقتها) .
وعلى مر الوقت أحس ببديهية ان ردا لا روح فيه من شأنه ألا يثير فيها دواعى الرضا . فهى تريد رأيا صادقا ان الرأى الصادق هو ما يهمها . وان تعجب فعجب أن تنعت أزهار توضع فوق رف مدفأة بأنها ( حديقة ) !
يا للفتنة ، ويا للطفولة ! ثم كان لها أسلوبها الخاص ، فى صباح أيام الأحد ، عندما تنزل الى ردهة البيت وقد اتخذت تمـام أهبتها للذهاب الى الكنيسة ، اذ تصفق الباب أسفل السلالم بشىء من الشدة ، ثم تنفض نفسها وتستدير حول ذاتها استدارة سريعة وكأنمـا تريد أن يشملها بنظرة فاحصة ، ولسان حالها يقول : « حسنا .
ما رأيك فى هذا ؟ أهو واف بالغرض ؟ » . كانت هـذه الظاهرة تقترن فى ذهنه دائمـا بما يشبه رائحة قفـاز جلد الجدى ! وكان من ديدنها دائما أن تسأل عن ألوان وتفصيل أثوابها : أهو يفضل هذا ، أم ذاك ؟ ولم يكن يأخذ مثل هذه الأسئلة مأخذ الجد ، حتى كان ذات يوم اذ تصادف ان ألمح ، مجرد الماحة ، الى أنه لا يعد من خيرة من يعجبون بثوب جـديد بعينه ، وكان ذلك أول ثوب جديد لها بعد أن هجرت نهائيا أثواب الكرينولين القطنية السميكة المنقوشة . فما كان منها الا أن عدلت عن ارتداء هذا الثوب الجديد نهائيا . وقد بدا له أنها ليست جادة فى هذا العزم أول الأمر ، ولاذ الى الدفاع عن نفسه بأنها مجرد دعابة ربما أسرف فيها أكثر مما يجب ، فقالت له : « لا فائدة بتاتا من أى كلام تقوله ، فاننى لن ألبس هذا الثوب أبدا » فقدر عزمها هذا الجاد

ايما تقدير حتى أمسك ، حكمة منه وتبصرا ، عن كل تعقيب جديد . لقد ظل متاثرا بهذا الحادث اياما . لقد ازدهاه ، وهزه انفعالا ، ولكنه اثار حيرته . لقد استغرب من امرأة لها هذه الأهواء والنزوات ان تكون بهذا القدر من الحصافة والاقتدار والتعديل عليهـا . والواقع ان الجوانب العملية فى طبعها وسلامة فطرتها كانت تستأثر على الدوام باعجابه بها . وكان أول مثال لذلك شهده منها هو اصرارها على ان غيابهما عن الحانوت معا وفى وقت واحد نصف ساعة أو ساعة كاملة مرتين فى اليوم لا يمكن أن يعني تدهورا عاجلا للعمل ، لقـد ظل هـذا المثال راسخا فى ذهنه منـذ ذلك الحين . ولولا نزعة الاصرار والتشبث هـذه ، وان اصطبغت بروح كريمة هادفة الى النفع ، لظـلا حتى اليوم وكل منهما يتناول طعامه منفردا عن صاحبه .

## من كتاب : تعليم هنري آدمز

بقلم : هنري آدمز

ان أربعة أخماس الشعب الأمريكي على الأقل — ووآدمز بينهم — قد اتحدت كلمتهم في انتخاب الجنرال جرانت لمنصب رئاسة الجمهورية ؛ والأرجح انهم كانوا متأثرين في اختيارهم على وجه التقريب بما شعروا به من تماثل بين جرانت وواشنطون .. فلم يكن ثمة ما هو أوضح من هذا . كان جرانت يمثل النظام . وكان جنديا عظيما ، والجندي يمثل النظام دائما . وربما كان في ميوله متحزبا للقوات غير النظامية التي كان في صفوفها ، ولكن القائد الذي نظم وقاد نصف مليون أو مليون رجل في ميدان القتال لابد أنه يعرف كيف يتولى مقاليد الادارة . وحتى واشنطون ، الذي كان في تعليمه وخبرته مجرد ( ساكن كهوف ) ، قد عرف كيف يتولى تنظيم حكومة ، ووجد أناسا من طراز جيفرسون وهاملتون لتنظيم الادارات الحكومية . ان مهمة استعادة (الحكومة) لمباشرة أوضاعها الأصيلة المنتظمة ، واستعادة النظم المادية والأدبية الى جهاز الحكم ، لم تكن بالمهمة البالغة الصعوبة . لقد كانت الادارة الحكومية على استعداد للقيام بذلك هي ذاتها ، مع قليل من التشجيع . وليس من شك في أن الفوضى كانت شديدة ، خصوصا في ولايات الرقيق القديمة وفي مجال تداول العملة ،

بيد أن المزاج العام كان طيبا ، وكان كل انسان يردد العبارة الشهيرة : « لندخل عهد السلام » .

كان آدمز فى سن الشباب ومن السهل خداعه ، بالرغم من مغامراته الدبلوماسية ، ولكن حتى لو كان فى ضعف سنه فلم يكن فى قدرته أن يرى ان هذا الاعتماد على جرانت كان منافيا للمعقول . ولو أن جرانت كان من رجال الكونجرس لالتزم الانسان حياله جانب الحذر ، لأن الانسان يعرف هذا الطراز . ان المرء لايتوقع أبدا من رجل الكونجرس أكثر من النوايا الطيبة وروح الخدمة العامة . ان رجال الصحافة كقاعدة عامة لم يكونوا يكنون احتراما عظيما لمجلس النواب . وأعضاء الكونجرس كانوا أقل منهم حظا . والوزراء لم تكن لهم أى حظ على الاطلاق . والواقع لقد حدث ذات يوم عندما كان آدمز يناشد أحد الوزراء أن يتذرع بالصبر واللباقة فى تعامله مع النواب ، ان الوزير هتف متبرما : « لا يمكنك استعمال اللباقة مع عضو كونجرس ! عضو الكونجرس خنزير ! ولابد لك أن تأخذ عصا وتضربه على فمه كما تضرب الخنزير على خطمه ! » . ان آدمز لم يكن واسع المعرفة بمقارنته بالوزير حتى كان يناقضه، وان بدا له أن هـــذا الوصف فيه خشونة ولا يسوغ استخدامه حتى بالنسبة لعضو كونجرس متوسط من جيل ١٨٦٩ ، والواقـــع انه لم ير الا القليل أو لم ير شيئا عن أعضاء ما بعد هذا العهد ، ولكنه مع ذلك كان يعرف أسلوبا أوجز فى اسكات النقد ، اذ قال : « اذا كان عضو الكونجرس خنزيرا ، فماذا يكون السناتور ؟» . ان هذا السؤال البرىء ، الذى صيغ بروح غير متميزة ، كان كفيلا بالجام أى رجل من رجال السلطة التنفيذية لم

يطلي به العهد في المنصب . على ان آدمز ذاته كان يسلم بأن السناتورات كانوا يجاوزون حدود القصور ، ان الجانب الكوميدي لانانيتهم كان يخفي الى حد ما اسرافهم وغلوءهم ، ولكن التخرب قد استشرى في عهد اندرو جاكسون الى حد أن مجلس الشيوخ كله بدا وكأنه تشبع بهستيرية المعارضة العصبية العنيفة دون علة ظاهرة . أن زعماء كبارا مثل سمنر وكونكلنج ما كان يمكن السخرية منهم . فقد كانت أشخاصهم مليئة بالغرائب والمفارقات المضحكة الى حد لا يجدى معه النيل منهم بالتعريض والسخرية . وحتى جرانت الذى قلما كان يتوهج بالحكم الذكية الساخرة ، أصبح بارعا سريع الخاطر بسببهم . لكن أنانيتهم وتحزبهم لم تكن المادة التى تقابل بالسخرية والردود اللاذعة . فانهم كانوا مصدرا للأذى المستمر الشنيع ، كان حتما أن يشعر به جارفيلد وبلاين ، وحتى ماكنلى وجون هامى . وكانت أشق مهمة يتعين على رئيس جمهورية يريد الاصلاح أن ينهض هى أن يعيد مجلس الشيوخ الى جادة الاحتشام والسلوك القويم .

وعلى هذا فما من أحد ، واقلهم فى ذلك آدمز ، كان يخالجه الأمل فى استطاعة أى رئيس جمهورية يتم اختياره من صفوف السياسة والسياسيين الارتفاع بمكانة الحكومة واقرار قواعد الحكم السليم . واستنادا الى وحى الغريزة ان لم يكن الى حكم المنطق والسداد ، فان الاجماع قد انعقد على شخص جرانت . وكان مجلس الشيوخ يدرك ماذا يتوقع العالم منه ، وجعل ينتظر فى صمت وقوع صراع من جرانت اشد خطورة من ذلك الصراع الذى كان مع أندرو جاكسون . وكان

رجال الصحافة ممتلئين لهفة لتأييد الرئيس ضد مجلس الشيوخ . ان الصحفى ، اكثـــر من معظم الرجال ، شخصية مزدوجة . وشخصية يشعر برضـا أشد فى غرائزه المزدوجة عندما يكتب باحساس ويفكر باحساس آخر . وكان رجال الصحافة كافة ، مهما تكن كتاباتهم ، يخالجهم شعور متماثل حيال مجلس الشيوخ . وقـد سبح آدمز مع التيار . وكان متلهفا للمشاركة فى الصراع الذى تنبأ بأنه أمر محتوم عاجلا أو آجلا . وقد اعتزم تأييد السلطة التنفيذية فى مهـــاجمة مجلس الشيوخ وحرمانه من أغلبيـــة الاقتراع بنسبة التلقين ومن سلطة التصديق ، دون أن يحفل كثيرا بالكيفية التى يمكن ان يتم بها هذا ، اذ فكر ان الأسلم هو تحقيق هـذه الثورة فى عام ١٨٧٠ أفضل من الانتظار حتى عام ١٩٢٠ .

وبهذه الأفكار فى ذهنه ذهب الى الـــكابيتول لكى يسمع اعلان الأسماء التى لابد ستميط اللثام عن السر الذى أحتفظ به جرانت جاهدا وهو تشكيل وزرائه . ولقد ظل حتى نهاية حياته يتعجب من فجائية الثورة التى ادت فعلا ، فى غضون خمس دقائق ، الى تغيير مستقبله المنتوى الى سخف مثير للضحك والسخرية بدرجة جعلته يخجل منه . فقد كان عليه أن يسمع اعلان تشكيل طويل لأسماء وزارية ليست أضعف كثيرا ولا أكثر انعدام جدوى من اسم جرانت ، وكان لها من التأثير الفريد ما يجعل السامع يحمر خجلا من نفسه أكثر منه من جرانت . ها هو ذا قد أكن مرة أخرى اعتقادا خاطئا كليا فى الحياة ، أو بالأحرى بداية أخرى زائفة لا يمكن تصورها . ومع ذلك ، وبرغم استبعاد ما حدث ، فقد

كان مصيبا في تقديره صادقا في حدسه ؛ لأن أعضاء الشيوخ لم يتكتموا شعورهم حين راحوا يقولون بصراحه مطابقه لأســلوب مجلسهم ان التعيينات الوزاريه التى أصدرها جرانت قد فضحت نيته بوضوح فضيحتهــا لعجزه . فان الجندى العظيم قد يغدو طفلا فى مجــال السياسة :

## من كتاب : الحرب والسلام

**بقلم : ليو تولستوى**

كان نابليون يمر بتجربة أليمة كتجربة المقامر ، الذى طالما واتاه الحظ وحسب حساب كل مخاطرة وراهن بحفنات الذهب ، فاذا هو يجد نفسه بعد كل هذا خاسرا مغلوبا لمجرد أنه لعب بمهارة جاوزت الحد . لقد كان الجنود والقادة هم أنفسهم كسالف العهد . وكانت الخطط تعد اعدادا دقيقا ، وكان حديثه اليهم موجزا وحاكما . كان على ثقة بنفسه ، وبخبرته ، أو بالأحرى عبقريته التى نضجت مع السنين . وكان العدو الذى يواجهه نفس العدو الذى عرفه فى معارك أوسترليتز وفريدلند . لقد كان يعول على الانقضاض عليه بالأنياب والأظافر . فاذا الضربة تحبط كأنما بسحر ساحر ، لقد درج على رؤية خططه تكلل بالنجاح . وكان اليوم ، كالحصاد ، قد ركز نيرانه على نقطة واحدة ، ودفع باحتياطيه وفرسانه وهم رجال من فولاذ ــ لاختراق خطوط الروس . ومع ذلك فان ( النصر ) وقف منه بمعدل . لقد تواردت من كافة الجوانب استغاثات تطلب التعزيز ، وانباء عن مقتل قواد أو جرحهم ، وعن كتائب دبت اليها الفوضى ، وعن استحالة زحزحة الروس . فى المناسبات الأخرى ، وبعد تحركات معدودة لا تجاوز مرتين أو ثلاثا ، وبعد أمرين

أو ثلاثة تصــدرها على عجــل ، كان نيــاوران ورجال التشريفات يجيئون اليه متهللى الأسارير ، لكى يعلنوا اليه بين المدائح والتهانى أن فرقا بأسرها قد وقعت فى الأسر ، ولكى يضعوا بين يديه حزما من الرايات والنسور غنمت من العدو . وكانت القطـــارات المحملة بالمدافع تقعقع من خلفهم ، بعــد أن يجىء ( مورا ) مســـتأذنا فى نقل الفرسان بالعربات المخصصة للأمتعة . لقد كان هذا كله هو ما سارت عليه الأمور فى معارك لودى ، ومارينجو ، واركولا ، وييِنا ، واسترليتز ، وواجرام . أما اليوم فثمة شىء غريب فى تضاعف الهواء . نعم ان المعاقل الروسية المتقدمة قد أخذت عنوة وانقضاضا ، ومع ذلك فقد كان يشعر بهذا الشىء الغريب ، وكان يعلم أن كافة أركانه كانوا يشعرون بهذا ايضا . فقد كان كل وجه كاسفا ، وكان كل انسـان يتحاشى النظر فى عين غيره . وكان نابليون ذاته يدرك أكثر من سواه ما هو معنى صراع دام ثمانى ساعات ، دون أن يسفر بعد عن النصر ، ذلك برغم أن جميع قـــواته قد اشتبكت فى المعركة . كان يعرف أن اللعبة بلغت مرحلة التعادل ، بل انه فى أية لحظة من الآن يمكن أن يؤدى أيسر تحـول فى الحظ ، فى هذه اللحظـــة الحرجة ، الى تعريضـــه وجيشه للاندحار .

وفيما هو يقلب النظر ويعمل الفكر فى الحملة الغريبة العاثرة الحظ التى اضطلع بها فى روســيا ــ وفيها لم يتهيأ قط فى مدى شهرين من القتال كسب معـــركة واحدة ، ولا الاستيلاء على راية ولا مدفع ولا أسر سرية من الرجال ــ بدت وجوه أفراد حاشيته المتجهمة الكالحة واستمرار ندبهم ونواحهم بسبب عنـــاد الروس ، تثقل على نفسه وترهقه كأنها كابوس . ان الروس قد ينقضون

فى أية لحظة على جناحه الأيسر ، أو يشقون طريقهم الى قلب جيشه ! بل ان قذيفة مستهلكة قد تصيبه حتى هو ! ان كل هذه الأشياء جائزة ممكنة الوقوع . لقد درج فى حيـــاته ألا يتوقع شيئا غير المصادفات السعيدة . أما اليوم ، على النقيض من ذلك ، فان سلسلة لا نهاية لها من المصادفات ، وكلها مضادة معاكسة له ، قد بدت ماثلة لخاطره شاخصة لعينيه . وعنـــدما سمع ان الجناح الأيسر قد هاجمه العدو فى الواقع ، لم يتمالك أن خامره الذعر والفزع . وعلى الأثر أقبل اليه برتييه واقترح عليه أن يمتطى جواده ويطوف بنفسه لكى يتحقق شخصيا من مجريات الأمور .

ــ ماذا ؟ ماذا قلت ؟ آه ، نعم . بالتأكيد . أطلب جوادى ...

واتجه من فوره شطر سيمينوفسكى .

على طول الطريق لم تكن العين تقع الا على جيـــاد ورجال ، فرادى أو زرافات ، ممـــددين فى برك من الدماء . ان نابليون لم يشهد قط لا هو ولا قواده مثـــل هذه الكثرة من الصرعى فى نطـــاق مثل هذا الحيز المحدود . ان هدير المدافع العميق ، الذى لم يتوقف قط مدى عشر ساعات ، والذى أوهى سماعه الآذان حتى كلت ، كان قرينا مشئوما لهذا المشهد . وبعد أن وصل الى المرتفعات المطلة على سيمينوفسكى . استطاع أن يبصر على البعد ، وعبر الدخان ، صفوفا متراصة من الكسى العســكرية ذات ألوان غير معهودة : كانوا هم الروس . لقد وقفوا فى حشود متراصة من وراء القرية والهضبة الصغيرة ، وما زالت مدافعهم تهدر بلا انقطاع على طول خط القتال . لم تكن هـــذه معركة ، كانت

مجزرة ، لا طائل من ورائها لكلا الجانبين على السواء . ولقد توقف نابليون واستغرق مرة أخرى فى التفكير الحالم الذى كان برتييه قد أيقظه منه . كان من المحال وضع حد للمجزرة ، ومع ذلك فانه كان هو ، فى نظر العالم ، السلطة المسئولة . ان صد الهجوم هذا الأول قد أقنعه بكل ما فى هذه المجازر من فظائع ودمار .

وقد تجاسر أحد القواد فاقترح بأن يدفع الى المعركة بجنون ( الحرس القديم ) . وعندئذ تبادل ناى وبرتييه النظرات وابتسما ابتسامة احتقار لمثل هذه الفكرة المنافية للعقل . أما نابليون فقد جلس صامتا مطرقا برأسه .

ـ اننا على بعد ثمانمائة فرسخ من أرض الوطن ، ولن أعمل على تمزيق ( حرسى ) كل ممزق !

ثم أدار جواده ، فركض به عائدا الى شيفا ردينو .

## من كتاب : مغامرات شرلوك هولمز

**بقلم : سير آرثر كونان دويل**

« لعلك تسدى الى منة كبرى يا مستر ويلسون اذا بدأت قصتك من جديد . واننى اذ أرجوك هذا فليس لأن صديقى دكتـــور واطسون لم يستمع الى الشطر الافتتاحى منها فحسب ، بل كذلك لأن الطبيعة الغريبة للقصة تجعلنى متلهفا للوقوف على كل تفصيل ممكن من شفتيك . انها قاعدة عندى حين أستمع الى دلالة يسيرة لمجريات الأحداث أن تتهيأ لى القدرة على الاستهداء فى طريقى استرشادا بالألوف من القضايا المماثلة الأخرى التى تعرض لذاكرتى . وفى حالتنا الماثلة أجدنى مضطرا الى الاعتراف بأن الحقائق ، فيما يرقى اليه يقينى ، فريدة » .

نفخ ( الزبون ) البدين صدره بصورة فيها زهـــو يسير ، وأخرج من جيب معطفه الداخلى جريدة متسخة مثنية . وبينما راح يجيل نظره فى عمود الاعلانات وقـد عدل رأسه الى الأمام وانبسطت الجريدة فوق ركبته ، رحت أتفرس فيه مليا محاولا جهدى ، وفقا لأسـلوب صاحبى ، أن أقرأ الدلالات التى قد يزجيهـــا زيه أو مظهره .

بيد اننى لم اظفر بالشىء الكثير من تفحصى هذا . أن زائرنا لاحت عليه كل علامة تومىء الى كونه فردا بريطانيا

عاديا من سواد الناس المشتغلين بالتجارة . كان بدينا . متكلفا للأبهة ، مضجرا . وكان يرتدى بنطلونا رماديا واسعا وسترة ( فراك ) سوداء غير بادية النظافة مرسلة الأزرار ، وصدارا زريا به سلسلة نحاسية غليظة من طراز ( البرت ) تدلت منها حلية معدنية مربعة صغيرة مثقوبة. وكان بجانبه فوق المقعد قبعة عالية ناسلة الخيوط ومعطف بنى حائل اللون ذو ياقة مغضنة من القطيفة . وكانت حصيلة هذا كله مهما أطلت النظر والتفرس ، لا تنبىء عن شيء غير عادى فى شخصه ، فيما عدا رأسه المتوهج الحمرة ، وسمات الغم والسخط الشديدين المرتسمة فى ملامحه .

ان عين شرلوك هولمز اليقظة قد سجلت انهماكى هذا ، ولم يلبث أن هز رأسه باسما عندما لاحظ نظراتى المتسائلة وقال :

ـ فيما لا يزيد عن الحقائق الواضحة وهى أنه قد اشتغل حينا بأعمال يدوية ، وأنه يستنشق السعوط ، وأنه كان من الأحرار الماسون ، وأنه كان فى الصين ، وأنه قد أنجز قدرا من الكتابة مؤخرا ، فلا أستطيع أن أستنتج شيئا آخر غير هذا .

انتفض مستر جابيز ويلسون فى مقعده وسبابته فوق الجريدة ، ولكنه شخص بعينيه الى صاحبى قائلا :

ـ كيف عرفت يا مستر هولمز بحق كل حظ سعيد هذا كله ؟ كيف عرفت ، مثلا ، أننى اشتغلت بأعمال يدوية ! ان هذا حق كالكتاب المقدس ، اذ أننى بدأت حياتى نجارا فى بناء السفن .

ـ من يديك يا سيدي العزيز . أن يدك اليمنى أكبر حجما من يدك اليسرى. انك قد اشتغلت بها ، وعضلاتها غدت اوفر نموا .

ـ حسن . وعن السعوط ، وعن نتمائى الى الاحرار الماسون ؟

ـ لن أسىء الى ذكائك اذا أخبرتك كيف استقرات هذا . ولا سيما أنك تحمل مشبك صدر على شكل قوس وبوصلة ، وان كان هذا ضد التعاليم المشددة لطائفتك .

ـ آه ، طبعا ، اننى نسيت هذا . لكن مسألة الكتابة ؟

ـ أى شىء غيرها يمكن أن يدل عليه ذلك الكم الأيمن الشديد اللمعان بقدر خمس بوصات ، والكم الأيسر ذو الرقعة الملساء قرب المرفق من حيث تتكىء به فوق المكتب ؟

ـ حسن . لكن مسالة الصين ؟

ـ وشم السمكة الذى جعلته فوق معصم يدك اليمنى مباشرة لا يمكن أن يحدث الا فى الصين . أننى قمت بدراسة قصيرة لعلامات الوشم ، بل أننى أسهمت باضافة الى مجموع ما كتب فى هذا الموضوع . ان تلك السمة الخاصة بصبغ حراشف السمك باللون القرنفلى الخفيف هى خصيصة للصين . وبالاضافة الى هذا فاننى حين ارى عملة صينية مدلاة من سلسلة ساعتك ، لا تلبث المسألة أن تغدو أكثر بساطة .

ضحك مستر جابيز ويلسون ضحكة متثاقلة ، وقال :

ـ يا ويحى ! ظننت اول الأمر أنك أتيت عملا بارعا ،

لكننى أرى الآن ، بعد كل شيء ، انه لم يكن بذى بال .

فقال هولمز :

لقد بدات أفكر يا واطسون أننى أرتكب خطأ بالشرح والبيان . ولسوف تستهدف شهرتى المتواضعة ، وهى على ما هى عليه ، للبوار والخسران اذا نهجت هـذا القدر من الصرامة .

# من كتاب : العقد الاجتماعي

بقلم : جان جاك روسو

## الشعب

ان المهندس ، قبل تشييد مبنى كبير ، يفحص التربة ويقوم بجسها ليرى ان كانت سوف تتحمل ثقل المبنى : وهكذا فان المشرع لا يبدأ بوضع قوانين صالحة ، ولكن ينظر أولا فيما اذا كان الشعب الذى سوف توضع له القوانين على استعداد لمراعاتها .

ومن أجل هذا السبب رفض أفلاطون أن يضع القوانين للأركاديين والقورينيين ، لعلمه بأن هذين الشعبين من الأغنياء ولن يطيقا المساواة .

والسبب فى أنه كانت فى جزيرة كريت قوانين صالحة ورجال فاسدون ، هو أن مينوس أعطى القوانين لشعب مثقل بالرذائل .

ان الألوف من الأمم قد ازدهرت على وجه الأرض وهى التى ما كان يمكن أن تطبق القوانين الصالحة. وتلك الأمم التى أمكن أن تحتملها لم يكن لها الا بقاء قصير .

***

ان معظم الأمم ، مثل معظم الأفراد ، ليست قابلة للانقياد الا فى فترة الشباب . وهى تصبح عصية على التقويم والاصلاح كلما تقدمت فى السن . والعادات متى استقرت ، والتفرضات متى تأصلت ، فانها لعملية خطرة

وبلا جدوى أن يحاول الانسان تقويمها واصلاحها : فان الشعب لن يسمح لأحد بمقاربة محنه وبلاياه . حتى ولو من قبيل الارشاد والتوجيه ، كما هو شأن المريض الغبى الرعديد الذى يرتعد من مشهد طبيب .

وليس معنى هذا — كما تفعل بعض الأمراض بالأفراد اذ توعك رءوسهم وتنسيهم الماضى — انه قد لا توجد ، فى كيان الدول ، حقبات عنيفة يكون فيها للثورات من الأثر على الأمم ما يكون من الاثر لأزمات معينة على الأفراد ، وحين يحل الرعب من الماضى محل النسيان ، وحين تنفض الدولة ، التى دمرتها الحروب الأهلية ، الرماد عنها وتصطبغ بقوة الشباب .

على هذا المقال كانت اسبرطة فى عهد ليكورغوس . وعلى هذا المثال كانت روما بعد التاركوين . وعلى هذا المثال ما حدث بين ظهرانينا فى هولندا وسويسرا بعد اقصاء الطغاة .

لكن هذه الأحداث نادرة . انها استثنائية ، وسببها يوجد دائما فى البناء الخاص للدولة الموصوفية بهذا الاستثناء . بل انها لا يمكن أن تحدث مرتين فى نفس الأمة . فان الأمة تستطيع أن تجعل نفسها حرة طليقة طالما كانت همجية ، لكنها لا تستطيع أن تفعل هذا أكثر من ذلك عندما تستنزف طاقاتها المتمدنة وتستنفد . والاضطرابات عندئذ قد تدمر ، دون ما امكانية للثورات أن تقر الأمور فى نصابها من جديد : فانه ما أن تتحطم الأغلال حتى تتداعى ولا يبقى لها وجود ، فاذا احتاجت الى شىء بعد ذلك فانما تحتاج الى مسيطر ، لا الى محرر .

لتضع الأمم الحرة هذه الحقيقة نصب أعينها : « أن

الحرية قد تكسب ، لكنها لا تسترد قط » .

ان الشباب ليس هو الطفولة . هناك عهد للشباب بالنسبة للأمم كما هو بالنسبة للانسان ـ أو ان شئت القول ، عهد للنضج ـ وهو ما لابد من انتظاره قبل اخضاع الأمم للقوانين . لكن نضج اى شعب ليس من السهل دائما التعرف عليه ، واذا بدأ هذا العهد مبكرا أكثر من أوانه فان الجهد فيه ضائع . هناك شعوب معينة قد يفرض عليها النظام من أول عهدها بالوجود . وهناك غيرها لا يمكن فرض النظام عليها فى نهاية عشرة قرون .

ان الروس لن يطوعوا قط للتمدن حقا ، لأنهم وضعوا قيد السيطرة فى وقت مبكر أكثر مما ينبغى . كان بطرس ذا عبقرية فى التقليد والمحاكاة : ولم تكن لديه العبقرية الحقة التى تبتدع كل شىء من لا شىء وقد كانت بعض الاعمال التى قام بها طيبة ، أما أغلبها فكانت سيئة التوقيت ، لقد رأى أن شعبه هجمى : ولم ير أنه غير ناضج للتمدن . لقد حاول أن يمدينه حين كان يجدر أن يعوده على الحرب . لقد حاول أول الأمر أن يجعل منه ألمانا أو انجليزا ، حين كان يجب أن يبدأ يجعل منه روسا . لقد منع رعاياه من أن يضيروا قط ما كان يمكن أن يكونوه ، باقناعهم أنهم سيكونون ما لم يكونوه .

وعلى مثال هذا يعلم المعلم الفرنسى تلميذه أن يلمع فى طفولته ، ثم يرقى الى لا شىء فيما بعد . أن امبراطورية روسيا سوف تبتغى اخضاع أوربا ، وهى نفسها التى ستكون مناط الخضوع والاستعباد . ان التتار ، رعاياها أو جيرانها ، سوف يصبحون المسيطرين عليها وعلينا . ان هذه الثورة تبدو لى محتومة . أن كافة ملوك أوربا يعملون سويا للتعجيل بوقوعها .

## من كتاب : مقتل آرثر

بقلم : سير توماس مالورى

### العثور على السيف

وهكذا ارتحل هو وميرلين ، وبينما هما راكبان قال الملك آرثر : « ليس معى سيف » . فقال ميرلين : « لا يهم » .

وهكذا ركبا حتى وصلا الى بحيرة كانت مترامية صافية ، وفى وسط البحيرة شاهد الملك آرثر ذراعا مكسوة بنسيج حريرى أبيض موشى بخيوط الذهب والفضة ، ممسكة فى اليد بسيف مصقول . فقال ميرلين للملك : « أنظر ، هناك السيف الذى تكلمت عنه » .

وعلى الأثر شاهدا فتاة فوق البحيرة ، فقال الملك : « أية فتاة هذه ؟ » . فقال ميرلين : « هذه سيدة البحيرة . وفى داخل البحيرة لسان منبسط من الأرض ، وفيه موضع من أجمل ما خلق فى هذه الدنيا . وسوف تأتيك هذه البنية من فورها ، فكلمها كلاما حلوا حتى تعطيك هذا السيف » .

وبعد قليل جاءت الفتاة الى الملك آرثر وحيته ، فرد تحيتها قائلا : « يابنية ، أى سيف ذلك الذى ترفعه الذراع هناك فوق الماء ؟ ليته كان سيفى ، اذ ليس معى سيف » . فقالت فتاة البحيرة : « سيدى الملك ، هذا السيف ملكى ، واذا أعطيتنى هدية عندما أطلبها منك ،

فسوف يكون لك » . فقال الملك آرثر : « وحق وفائى بالوعد ، لأعطيتك أية هدية تطلبينها أو تحبينها » . فقالت الفتاة : « حسنا . اذهب الى ذلك القارب هناك وجذف به الى مكان السيف وخذه مع غمده . وسوف أطلب هديتى عندما يحين موعدى » .

وهكذا ترجل الملك آرثر وميرلين وربطا جواديهما الى شجرتين ثم ركبا القارب . وعندما بلغا مكان السيف الذى كانت اليد ممسكة به ، أخذه الملك آرثر من مقبضه وحمله معه . وعندئذ غاصت الذراع واليد تحت الماء ، ثم عادا الى البر وركبا جواديهما .

وأبصر الملك آرثر مقصورة جميلة فى حديقة ، فسأل : « ما هذه المقصورة التى هناك ؟ » . « هى مقصورة الفارس الذى قاتلته مؤخرا ، سير بيلينور . لكنه ليس بها الآن ، اذ خرج منها . انه ذهب لمقاتلة واحد من فرسانك ، ذلك الذى يدعى ايجليم ، وقد ظلا يتقاتلان فترة طويلة ،ولكن ايجليم ولى هاربا فى النهاية ، والا كانت نهايته . وقد تعقبه سير بيلينور حتى كارليون ، وسوف نلتقى به قريبا فى الطريق الرئيسى » . فقال الملك آرثر : « أحسنت قولا . الآن معى سيف ، والآن سوف أناجزه وسوف أقتص منه » . فقال ميرلين : « سيدى ، لن تفعل هذا ، لأن الفارس قد تعب من القتال والمطاردة ، ولهذا لن تكون لك مفخرة اذا قضيت عليه . ثم انه لن يطاولك اذا بقى على قيد الحياة . واذن فاننى أشير عليك بهذا : أن تدعه يمضى فى طريقه . ذلك لأنه عن قريب سوف يخدمك باخلاص ، وكذلك يفعل أبناؤه من بعده . ان هذا اليوم آت غير بعيد ، ولسوف يثلج صدرك أن تهبه أختك زوجة له » . فقال الملك

ارثر : « اذا رأيته فسوف أفعل ما تشير به » .

وأقبل الملك آرثر على السيف يتفحصه معجبا مطريا . فقال ميرلين : « أيهما تحب أكثر : السيف أو الغمد ؟ » فأجاب الملك آرثر : « أنني أحب السيف أكثر » . فقال ميرلين : « لست من الحكمة فى شيء ، لأن الغمد أقيم من السيف عشرة أضعاف . ذلك لأنك ما دمت تحمل الغمد، فلن يسيل دمك ، ولن ينالك جرح قاتل ، فعليك اذن الاحتفاظ بالغمد معك على الدوام » .

وهكذا تابعا طريقهما شطر كارليون .

## من كتاب : أوراق بيكويك

بقلم : تشارلز ديكنز

### تقرير واف دقيق عن محاكمة جديرة بالذكر في قضية بارديل ضد بيكويك

قال مستر سنود جراس ، من قبيل مواصلة الحديث فى ذلك الصباح الحافل من اليوم الرابع من شهر فبراير :

ـ ترى ما الذى أعده رئيس المحلفين ، مهما يكن شخصه ، لافطاره ؟

فقال بيركر :

ـ آه ! أرجو أن يكون افطارا طيبا .

فتساءل مستر بيكويك قائلا :

ـ ولماذا يكون كذلك ؟

فأجاب بيركر :

ـ هذا شيء بالغ الأهمية . هام جدا يا سيدى العزيز . ان المحلف الطيب الراضى النفس المفطر افطارا جيدا ، هو شيء ممتاز يتوصل اليه الانسان . ان المحلفين الساخطين أو الجوعى يا سيدى العزيز ، يصدرون قرارهم دائما لصالح الادعاء .

فقال مستر بيكويك وقد بدا شاردا كل الشرود :

ـ يا ويح قلبى ! وما الذى يجعلهم يفعلون هذا ؟

فأجاب الرجل القصير بهدوء :

ـ حقا لا أعرف . اقتصادا للوقت ، فيما أظن . ان كان الوقت يناهز موعد العشاء ، فان رئيس المحلفين يخرج ساعته عندما ينسحب المحلفون للمداولة ويقول : « عجبا يا سادة ، الساعة الخامسة الا عشر دقائق ! اننى أتناول عشائى فى الخامسة يا سادة » . فيقول كل واحد من الباقين : « وأنا أيضا » . . يقولونهـــا باستثناء اثنين كان ينبغى أن يتناولا العشاء فى الثالثة ، ويبدوان أكثر ميلا للصمود نتيجة لذلك . فيبتسم رئيس المحلفين ، ويضع ساعته قائلا : « حسنا يا سادة ، ما رأيكم ؟ الادعاء أم المدعى عليه يا سادة ؟ اننى أظن ، فيما يختص بى ، أيها السادة ـ أقول ، اننى أظن ـ لكن لا تدعو هذا يؤثر عليكم ، اننى أظن ان الادعاء هو الوارد فى الفكر » . وعلى الأثر ، يكون من المؤكد أن يقول رجلان أو ثلاثة ان هذا من رأيهم أيضا وهو رأيهم بالطبع . وعندئذ يتوافقون بالاجماع وفى يسر .

وينظر الرجل القصير فى ساعته ويقول :

ـ التاســـعة وعشر دقائق ! حان الوقت لذهابنا يا سيدى العزيز . سوف تكون محـــاكمة خارجة عن المألوف . وستكون المحكمة مكتـــظة عادة فى مثل هذه القضايا . يحسن أن تدق الجرس لطلب مركبة يا سيدى العزيز ، والا تأخرنا .

فقرع مستر بيكويك الجـــرس فى الحال ، وبعد استحضار المركبـــة استكن بداخلهـــا بيكويك وصحبه ومستر بيركر ، فاتجهت بهم الى دار القضاء . وتبعتهم مركبة أخرى أقلت ســـــام ويللر ، ومستر لوتين ، والحقيبة الزرقاء .

وعندما وصلوا الى الردهة الخارجية لدار المحكمة قال بيركر :

ـ لوتين . أدخل أصدقاء مستر بيكويك الى حجرة الانتظار . أما مستر بيكويك فالأفضل أن يجلس معى . من هنا يا سيدى العزيز . من هنا .

فقال مستر بيكويك مشيرا الى شبه منبر ذى حاجز نحاسى الى يساره :

ـ أظن أن هذا هو منصة الشهود ؟

فأجاب بيركر وهو يستخرج كميـــة من الأوراق من الحقيبة الزرقاء التى كان لوتين قد وضعها عند قدميه :

ـ هذه منصة الشهود يا سيدى العزيز .

فقال مستر بيكويك مشـيرا الى مقاعد مسورة الى يمينه :

ـ وهذه هى المقاعد التى يجلس فيها المحلفون ، أليس كذلك ؟

فأجاب بيركر وهو ينقر على غطاء علبة سعوطه :

ـ نفس المقاعد يا سيدى العزيز .

ولم يلبث مستر بيكويك ان نهض قائمـــا فى حالة اهتياج شديد والقى نظرة على قاعة المحكمة . كان بها حتى الآن جمهرة متفرقة من النظارة ، وجمع من السادة ذوى العاريات فى مقاعد المحامين ، الذين أعطوا ، فى صورتهم العامة ، وفى الملامح المتباينة لأنوفهم وشـعور سوالفهم ، ذلك المشـــهد الذى يستهوى العين والذى اشتهرت به بحق محاكم انجلترا . ومن هؤلاء السادة

الذين كانت معهم حقائب أوراق ، من تأبطوها على نحــو ظاهر ما استطاعوا ، وذهبوا يحكون أنوفهم بعد ذلك التماسا للتأثير بقوة على اهتمام بالنظارة . اما تميزهم من السادة الذين لم يكن لديهم حقائب اوراق لاظهارها ، فقد تأبطوا أوراقا من القطع الصغير ، من خلفها رقعــة حمراء وذلك الغــلاف الملون الشبيه بقشرة فطيرة غير منضجة والمصطلح على تسميته فى الدوائر القضائية باسم ( جلد عمل القانون ) . والباقون ممن لم تكن لديهم حقائب أوراق ولا ملفات ، فقد دسوا أيديهم فى جيوبهم وجلسوا ينظرون برصانة وحكمة ما وسعهم ذلك . وغير هؤلاء وهؤلاء كذلك فقد راحوا يتنقلون هنا وهنــاك فى تململ وجــد بالغين ، قانعين بأن يثيروا بذلك اعجاب ودهشة الغرباء غير المطلعين العارفين .

وكانوا جميعا ، وهو ما أثار الدهشة والعجب فى نفس مستر بيكويك ، منقسمين الى جماعات صغيرة ذهبت تتجاذب الحديث وتتناقش فى الاخبار اليومية بلا أدنى مبالاة ، كما لو لم تكن ثمة محاكمة وشيكة .

وقــد استرعى انتباه مستر بيــكويك دخــول مستر فونسكى وايماؤه برأسه وهو يتخـــذ مجلسه خلف الصف المخصص ( لمحـــامى الملك ) . وما كاد يرد على الايماءة حتى ظهر مستر سنابين ضابط النظام ، يتبعه مستر مالارد ، الذى كاد يخفى ضابط النظام خلف حقيبة ضخمة قرمزية وضعها فوق منضدته ، وبعد أن صافح مستر بيركر عاد أدراجه . ثم جاء بعد ذلك ضــابطان أو ثلاثة من هيئة النظام ، وكان بينهم واحد بدين أحمر الوجه أومأ برأسه فى مودة الى مستر سنابين ضابط النظام ، وأبدى عرضا أن اليوم بديع الطقس .

فهمس مستر بيكويك قائلا :

— من هو ذلك الرجل الأحمر الوجه الذى قال ان اليوم بديع الطقس وأومأ تحية الى محامينا ؟

فرد بيركر قائلا :

— هو السيد بوزفوز . وهو ضدنا ، اذ يقود الدفاع فى الجانب الآخر ، والسيد الجالس خلفه هو مستر سكيمبين ، مساعده .

هم مستر بيكويك أن يستفسر ، بمزيد من الاشمئزاز من خسة الرجل ووحشيته ، كيف يتأتى من السيد بوزفوز الذى هو محامى الخصم أن يتجاسر ويقول للسيد سنوبين الذى هو محاميه ان اليوم بديع الطقس ، عندما حال دونه نهوض المحامين جميعا ، وصيحة عالية تقول : «سكون ! »من جانب ضباط النظام فى المحكمة . وعندما نظر حوله وجد أن السبب فى هذا هو دخول القاضى .

كان القاضى ستارلى ( الذى حضر عن كبير القضاة المتغيب بسبب وعكة صحية ) رجلا فريدا فى قصره ، شديد البدانة الى حد بدا وكأن كل كيانه وجه وصدار . وكان يتدحرج فوق ساقين قصيرتين مقوستين ، وبعد أن أومأ برأسه في رصانة الى هيئة المحاماة ، التى ردت الايماءة برصانة مماثلة ، وضع ساقيه القصيرتين تحت المنضدة ، ووضع فوقها قبعته الصغيرة الثلاثية الأركان .

وعندما فعل القاضى ستارلى هذا ، كان كل ما يمكن أن يتصوره منه عينين صغيرتين عجيبتين ، ووجها واحدا مكتنزا ورديا .

## من كتاب : مقالات

بقلم : رالف والدو ايمرسون

ثق بنفسك : ان كل قلب يتجاوب مع هذا الوتر المكين . ارض بالمكان الذى حددته لك العناية الالهية ، والمجتمع الذى تعاصره ، وترابط الأحداث . ان عظماء الرجال قد فعلوا هكذا دائما ، وأسلموا أنفسهم فى ايمان الأطفال الى سجاياهم الأصيلة ، مدركين ان كل ما هو جدير بالثقة كامن فى قلوبهم ، نافذ من خلال أيديهم ، مسيطر فى كل كيانهم . اننا الآن رجال ، ولابد أن نتقبل بكل تفكير سليم القدر المقــــدور المغيب عن علمنا . اننا لسنا قاصرين ولا مرضى فى ركن معزول ، ولا جبناء يفرون بأنفسهم من ثورة آتية ، بل هداة مرشدون ، ومصلحون محسنون، مطيعون ممتثلون لقدرة الخالق ، سالكون طريق الرشد فوق الفوضى والشر .

وياله من جواب حكيم تزجيه لنا الطبيعة فى هــــذا المقام ، ذلك الذى يتجلى فى وجوه ومسالك الأطفال ، بل حتى الوحوش . ان ما نعانيه من عقول موزعة متمردة ، وارتياب فى المشاعر لأن حساباتنا الرقمية قد حسبت وقدرت كل القوى والوسائل المؤدية الى تحقيق أغراضنا كل أولئك ليس له مثيل عند أطفــــالنا . فان أذهانهم سليمة ، وأعينهم متفتحة لم يقهرها شىء ، وعندما ننظر فى هذه الأعين فاننا نشـــــعر بالارتباك . ان الطفولة

لا تتشاكل مع أحـد . والكل يتشاكلون معهـا . وهكذا الطفل الواحد يعادل أربعة أو خمسة من البالغين الذين يثرثرون لهم . وهكذا فان الله قد سلح الشباب الايفاع والبالغين سن الرشد والمكتملي الرجولة بقدر ؛ مثل هذا الحيرة والاثارة والفتنة . فلا تحسبن الشباب خلوا من القوة لأنه لا يستطيع أن يخاطبك ويناجيك أو يخاطبني ويناجيني . ولعلك اذا أصخت السمع أن تجد الصوت عن كثب منك واضحا كل الوضوح مؤكدا لا ريب فيه . أنه يعرف كيف يخاطب نظراءه وأترابه . وسواء تملكه الخجل والتردد أو انحـاز الى الجسـارة والجرأة ؛ فسيعرف كيف يجعلنا نحن الكبار عنه غير لازمين له بأى حـال .

ان ما يبديه الصبية من قلة الاكتراث واللامبـالاة والترفع عن الاعتذار عن شيء لهـو الطبيعة البشرية السوية . ان لهم نزعة الاستقلال ، والتحرر من المسئولية؛ والنظرة من زاويتهم الخاصة لكل ما يمر بهم من الناس والأحداث والحكم عليها بما تستحق وفقا لذلك الأسلوب العاجل المجمل للصبيان ، بما فيها من خير أو شر ، من قيمة أو تفاهة ، من جمال أو كدورة . أنهم لا يثقلون على أنفسهم أبدا بما يكون من نتائجها ، وجدواها . انهم يصدرون أحكاما مستقلة ، صادقة . عليك أن تخطب ودهم ، وليس عليهم أن يخطبوا ودك. ولكن الانسان معتد في سجنه بوعيه . ما أن يتصرف أو يتكلم بنجاح وتألق حتى يغدو قيد الأسار ، ترمقه مئـات الأعين أما بالعطف وأما بالـكراهية ، ومن ثم لابد أن تدخل مشاعرهم في حسبانه . لن يكون من هذا مهرب ولا نسيـان . ليته بعد يستطيع أن يعـود الى حيدته السابقة ! من ذا الذى يستطيع هكذا أن يتحاشى كل عهد وميثاق ، واذا فكر

فى شيء ، أن يفكر فيه من جديد من نقطة البداية المبرأة من كل تأثر بشيء وتميز الى شيء وضعف أمام المغريات وتخوف من مخوف ، أنه اذن لهائل مرعب . وله اذن ان يصدر الاحكام فى كل الشئون الجارية ، فتقع من مسامع الرجال مواقع السهام وتدخل فى قلوبهم الرعب .

تلك هي الأصوات التى نسمعها فى العزلة ، ولكنهـا تغدو ضعيفة وغير مسموعة كلما تقدمنا فى هذه الدنيا . ان المجتمع فى كل مكان ضالع فى التآمر ضد رجولة كل عضو من أعضائه . ان المجتمع هو شركة مساهمة ، فيها يوافق الأعضاء ، للحصول على أفضل خبز لكل مساهم ، على التنازل عن حرية وفكر الآكل . ان الفضيلة فى معظم المطالب هى التوافق والتكيف مع الآخرين . والاعتماد على النفس هو عدوها الممقوت . أنها لا تحب الحقـــائق ولا المبدعين ، وانما الأسماء والعادات .

ايما انسان يريد أن يكون رجلا لابد ان يكون مستقلا لا يلتزم نمطا مقررا فى الراى والعمـل . من كان يريد خلود الذكر فلا يعوقه اسم الخير ولفظ الصلاح ، بل عليه ان يستكشف بنفسه ان كان خيرا ويسبر بنفسه صلاحه . لا شيء فى النهاية مقدس سوى اكتمال تفكيرك وسلامته . احل نفسك الا من نفسك ، تنل اجماع الدنيا على رأيك . انني لأذكر ردا دفعت وانا فى صغرى لابدائه لنا صح له قدره ، كان نزاعا الى الالحاح على بالتعـــاليم الكنسية العتيدة . فعندما قلت : « ما الذى يعنينى من قداسة التقاليد ، اذا كنت أحيا بكليتي من ذاتيتي الباطنة ؟ » ـ بادرنى بقوله : « لكن هذه البواعث قد تكون من الأدنى ، لا من الأسمى » . فقلت له : « انها لا تبدو لى كذلك . لكن اذا كنت وليد الشيطان ، فسوف أحيا حياتي اذن

من الشيطان » . ما كان لقانون ان يكون مقدسا فى نظرى الا القانون الذى ينبثق من طبيعتى . ان الخير والشر ليسا سوى اسمين يسهل نقلهما الى هذا او ذاك : والصواب الوحيد هو الذى يلائم طبيعتى ، والخطأ الوحيد هو ما يجافيها . على المرء أن يقود نفسه فى وجه كافة المعارضات كما لو كان كل شيء اسميا وزائلا الا هو . اننى ليخجلنى ان افكر كيف نستسلم بسهولة للشعارات والأسماء ، للجماعات الكبيرة والمؤسسات الميتة . أرى أناسا أفاضل معسولى الكلام يحاولون التأثير على والسيطرة على رأيى بأكثر مما هو حق . من واجبى أن أمضى فى طريقى مستقيما نابضا بالحياة ، وأن أقول الحق فى جفوته فى كل الظروف والاحوال . اذا كان الشر والباطل يلبسان لباس الخير والانسانية ، فهل ينطلى هذا ويدوم ؟ اذا جاءنى متعصب غضوب يبدى نقمته على أبناء تحرر أهل باربادوس البعيدة من الرق والعبودية ، فما الذى يمنعنى أن أقول له : « اذهب وأحب طفلك . أحب محتطب الشجر . كن كريم الطوية متواضعا ، تجمل بهذه الفضائل . لا تغلف قلبك بالكراهية لاخوان لك فى البشرية سود يبعدون عنك ألوف الأميال » .

# من كتاب : آدم بد

بقلم : جورج اليوت

لكنها كانت قوة آدم ، لا الصلابة المتلازمة معها ، هي ما سيطر على تفكيره وتأملاته في هذا الصباح . لقد انعقد عزمه منذ أمد طويل على أنه من الخطأ كما هو من الحماقة أن يتزوج فتاة ناضرة ، طالما لم يكن أمامه من توقع سوى الفقر المتزايد مع أسرة متزايدة . وكانت مدخراته قد استنزفت باستمرار ( الى جانب التناقص الرهيب فيها بسبب دفع أجر لبديل سيث في قوات الميليشيا ) الى حد أنه لم يبق له من المال ما يكفي مقدما لتأثيث حتى كوخ صغير ، وما يحتفظ به كاحتياطي ليوم عوز . وكان لديه أمل طيب في استطاعته أن يغدو ( أثبت قدما ) شيئا فشيئا ، بيد أنه لم يستطع أن يرضى بثقة غامضة في ساعده وفي ذهنه . لابد أن تكون له خطط محددة ، وأن يشرع فيها من فوره . ان المشاركة مع جوناثان بورج لا يمكن التفكير فيها في الوقت الراهن ، فهناك أشياء مرتبطة بهـــا ضمنا حتى أنه لا يستطيع قبولها . لكن آدم فكر أنه هو وسيث قد يمكنهما القيام بعمل صغير محـــدود لنفسهما الى جانب عملهما المياوم وذلك بشراء كمية صغيرة من الخشب الممتاز وصنع أدوات من الأثاث المنزلي منه ، وهو عمل لا تقف فيه ابتكارات آدم عند حد . ثم ان سيث قد يكسب أكثر اذا اشتغل

في أعمال منفصلة بارشـــــاد آدم مما يكسبه من عمل المياومة ، ويستطيع آدم في أوقات فراغه أن يقوم بـكل العمل الدقيق الذي يتطلب مهارة خاصة ، ومن شـــأن النقود التي يربحانها بهذه الكيفية ، مع الأجر الطيب الذي يناله كرئيس عمال ، أن تمكنهما ، عاجلا من شق طريقهما قدما في هذه الدنيا ، ما التزما حدود الاقتصـاد والتدقيق في عيشتهما الحالية . وما أن اتخذت هـــذه الخطة الصغيرة معالمها في ذهنه حتى بدأ ينهمك في حساب التكاليف المضبوطة للخشب الذي يراد شراؤه ، ونوع الأثاث المعين الذي ينبغي الاضطلاع بصنعه أولا ؛ دولاب مطبخ من ابتكاره ، به تسهيلات مبتكرة مثـــل ابواب ومزاليج منزلقة ، وأركان مناسبة لخزن الأطعمة المنزلية ، مع التناسق اللازم الذي تستريح اليه العين ، مما يغري كل ربة بيت ويثلج صدرها به ، فتدخل في مراحل متدرجة من التشوق المخزون الى أن يعـــد الزوج بشرائه لها . ولقد تصور آدم بعين الخيال مسز بويزر وهي تفحص هذا الدولاب بعينهـــا الحـــادة الناقدة ، محاولة عبثا أن تكتشف فيه عيبا . وبالطبع هناك هيتي بقرب مسز بويزر . ولم يلبث آدم أن استدرج مرة أخرى من عالم الحســـابات والابتكارات الى عالم الأحلام والآمال .

نعم . انه سيسعى الى الذهاب اليها ورؤيتها هذا المساء ، فقد مضت مدة طويلة منذ أن ذهب الى البيت الريفي . وكان يحب أن يذهب الى المدرسة الليلية ليرى لم لم يذهب بارتل ماسي الى الكنيسة أمس ، اذ خشي أن يكون صديقه القديم مريضا . لكن ، ما لم يتيسر له أن يقوم بالزيارتين معا ، فلابد له من ارجاء الزيارة الأخيرة الى غد . ان رغبته في أن يكون قريبـــا . من هيتي

والتحدث معها مرة أخرى كانت قوية الى حد بعيد .

***

وما أن حزم أمره على هذا ، حتى القى نفسه قرب نهاية المسيرة ، على مسمع من صوت المطارق وهي تعمل في اصلاح البيت القديم . ان صوت العدد والأدوات عند صانع ماهر يحب عمله ، شبيه بالأصوات التجريبية لأوركسترا فى سمع عازف الكمان الذى يريد أن يسمع دوره فى المقطوعة الموسيقية الاستهلاكية . ان الأوتار القوية تبدأ فتحدث الهزة المعتادة ، وما كان منذ لحظة بهجة أو ضيقا أو طموحا ، لا يلبث أن يحدث أثره ويتغير الى طاقة ونشاط . ان كل انفعال يتحول الى قوة عندما يجد مصرفا ومخرجا من حدوده الضيقة متمثلا فى جهد ساعدنا الأيمن ، أو براعة يدنا اليمنى ؛ أو النشاط الخلاق الصامت لتفكيرنا . وانظر الى آدم على امتداد نهاره وهو واقف على ( السقالة ) وبيده المسطرة البالغ طولها قدمين وهو يصفر بصوت خفيض بينما يتدبر كيف يمكن تذليل عقبة متمثلة فى عوارض تدعيم أرضية أو فى اطار نافذة . أو وهو يدفع أحد صغار العمال الى جانب ويأخذ مكانه فى رفع حمل من الأخشاب قائلا : « دع هذا يا فتى ! ان عظامك لا تزال طرية » أو وهو يسلط عينه الحادتين السوداوين على حركات عامل فى الجانب الآخر للحجرة ويحذره من أن المسافات التى يعمل وفقها ليست مضبوطة . وانظر الى هذا الرجل العريض المنكبين ذى الذراعين العاريتين المفتولتين والشعر الكثيف المتين الأسود الذى يتناثر حول الرأس مثل حشائش مرج وطئتها الأقدام كلما نزع قلنسوته 'الورقية' والصوت الجهير الذى يتفجر بين حين وآخر بترانيم رصينة عالية وكأنما يلتمس منفذا لقوة فياضة ، ثم

لا يلبث ان يحبس نفسه فيما يبدو ان فكرة خطرت له فتنافرت مع الغناء . ولعلك ، اذا لم تكن قد تأديت بعد الى سره ، ألا تستطيع أن تتكهن أية ذكريات كئيبة وأية مودة نابضة بالدفء وأية آمال رقيقة مرفرفة قد وجدت مستقرا لها ومقاما فى اهاب هـذا الجسد الرياضى ذى الأظافر المكسورة فى هذا الرجل الخشن الذى لا يعرف من الشعر الغنائى أفضل ممـا يجده فى العهد القديم والعهد الجديد ، وفى الترانيم ذات المناسبات ، الـذى لا يعرف الا أقل القليل من التاريخ الدنيوى ، والذى تبدو له حركة الأرض وشكلها ودورة الشمس وتغـير الفصول من المغيبات الغامضة التى لا يلم من حقيقتها الا بقشور المعلومات . ولقد تجشم آدم أشد العناء والعمل فى ساعات الفراغ لكى يلم بما ألم به فوق وبعد أسرار حرفته ـ من دراية بميكانيكية العدد والأدوات وخصائص الأرقام والاعداد وطبيعة المواد التى يشتغل فيها ، وقـد طوعتها له ملكة فطرية موروثة . تجشم آدم أشـد العناء لكى يلم فوق وبعد هذا كله بالقوة على القراءة والكتابة وهجاء الكلمات دون ما اغلاط الا ما يعزى عدلا الى الطبيعة الملتوية لبحور الاملاء أكثر ممـا يعزى الى قصور من جانب المتهجى ، ولـكى يلم الى جانب ذلك بحصيلة من النبرات الموسيقية وقدر من الغناء . وفضلا عن هذا كله فهو قد قرأ الكتاب المقدس ، ربما فى ذلك ما تفرع عليه من كتب مشكوك فى صحتها . هكذا قرأ ( تقويم ريتشارد ) و ( القديسون الأحياء والأموات ) لتيلور ، و ( رحلة الحاج ) مع ( الحرب المقدسة ) لبونيان ، كما قرأ شطرا كبـيرا من معجم بايلى . ومن فالنتين وأورسون ، وشطرا من ( تاريخ بابل ) الذى أعاره اياه صديقه بارتل ماسى .

# من كتاب : عن بعد ، تصدح الغابات

بقلم : تريجفى جوابرانس

فى فجر هذا اليوم انزلقت الزاحفات متجهة شمالا . لقد شعر داج الشاب بعد نوم قليل وأحلام قلقة بحنين الى الغابات . انه لم يلابس من قبل فى حياته مثل هذا الجوع الى المرتفعات كالذى لابسه الآن ، ولم يحدث قط ان كانت أفكاره عنيفة جامحة مثلما كانت هذه الليلة . لقد وقف ساكنا فوق مرتفعات ايلجكولين ، وتطلع خلفه عبر القصر والقرية القائمين على بعد سحبق من تحته ، وكان وهج الخيوط الأولى للشمس يصبغ التلال الشرقية بلون الدم .

كان مكتمل النمو ، بل أكثر من مكتمل قوة ومنة . كان قويا كدب ظهرا ومنكبا ، راسخ القدم الجواد ، ورشيقا كحيوان من حيوانات الغابة . كان يعرف الحياة بأفكاره الخاصة ،وكانت أفكاره عن كل شيء راسخة وغير مهتزة . ومع ذلك فان أفكاره فى هذه الليلة قد شردت جامحة .

كان رجاؤه الآن ان يسوى الأمور هنا فى هذا الجو العلوى الطليق ، حيث كان كل شيء كما عهده من قبل . فللغابات همس وأنين ، والرياح تهمهم فوق الثلوج وتترنم بأغنية هادئة فى السفوح القريبة فى اتجاه ( أوثايم ) .

بيد انه كان مخطئا اذ اعتقد ان بوسعه أن يفكر تفكيرا أكثر سهولة ويسرا هنا . فان هذه المشاعر الجديدة التى كانت تخامره الآن كانت اقل انتمـــــاء حتي الي عالم صباه ، منها الى القصر .

لقد تملكه مثل هذا الاحساس مرة من قبل ، ولكن بدرجة يسيرة . فى الخريف عنـدما جاء ( بار ) وابنته لأول مرة . كان عجيبا ما أكنه من ذكرى محياها فيما بعد! وما كان ليسوؤه شيء عندما أخبروه انها سوف تعود فى عيد الميلاد . انها لم تكن بأى حال أول امرأة نظر اليها . فقد تنقل فى البلدة واختلف الى حفـلات هولدر والى الأماكن الأخرى كذلك . وحين كانت أمه ما تزال على قيد الحيـــاة درج كثير من الضيوف على الحضور الى القصر .

لقد سبق أن غالته النساء بعيون باسمة ودهاء ، لكنهن لم يصلن اليه . ثم أنه شعر أن موت أخيه كان بمثـابة نذير له . صحيح أنه أصبح يتجول أكثر وأكثر الى ( أوثانم ) لسبب واحد فقط ، وهو ما لم يمكن انكاره . فان الابنة بورجهيلد امتازت بعينيها الواسعتين الرقيقتين وثغرها القانى الغض . كانت أنفاسها أقرب الى اللهث ، وكان صدرها يعلو ويهبط على غير قرار عندما كان يجلس الى المنضدة متحدثا اليها ، وكانت تتحرك فوق أرداف مهتزة وســــاقين قويتين . وهو لم يتمـاد الى حد احتضانها أو الى التلميح بشيء مثل هذا ، لكنه درج على اضمار مثل هذا التفكير .

لكن ابنة الميجور هذه كانت مختلفة . هل كان بوسعه ان يفكر فيها على هذا النحو ؟ حاشا له أن يفعل هذا . ومع ذلك فعندما كانت قريبة منه ، كان يشعر وكأن نشوة

القرب تكاد تحرقه . لماذا كان يشعر بهذه النشوة الحارة عندما كان يعرف أن عينيها مسلطتان عليه ؟ وما الذى كان يعنيه عندما يفكر فيها تفكير الاستحواذ والتملك ؟ هو والآنسة ( بار ) نرى ما الذى دعاه ؟ كان بوسعه أن يمسك بيدها — فقد كانت تعطى يدها للجميع — لكنه أن يفكر فى لمس معصمها — مستحيل — لو فعل لانسابت بعيداً عنه كشبح وان بورجهيلد فتاة ( أوثايم ) هى الطراز الذى يمسك به . أما الآنسة ( بار ) ، بذلك العنق وتلك العينين ، فليست بالتى تلمس باليدين . ومع ذلك فان عينيها لم تكونا باردتين ، فمن ثنايا نظرتهما المتشامخة كانت تتوهج رقة متناهية . لقد بدا أنهما تفهمان كل شىء ، ولا أثر فيهما لدهشة .

ترى من أين جاءتها تلك الأفكار ؟ انه لم يتجاسر مرة واحدة على أن ينعم النظر اليها ، لكنه ينوى هذه الليلة أن يبادرها بهذا النظر ، مواجهة ومباشرة ، ولا يجلس مكانه منعقد اللسان كما فعل بالأمس . انه لم يعرف شيئا يمكن أن يحدثها فيه ، لكن لابد له أن يجد شيئا يقوله ، حتى يتهيأ له أن يسمع مرة أخرى صوتها الدافىء الرقيق . انها لفكرة طيبة اللهم الا اذا لم يفشل فى تنفيذها ويفد وقد ألجم لسانه أكثر من قبل . لقد ذهب يحك رأسه . ترى هل يكون من الأفضل بعد كل شىء أن يبتعد فى عيد الميلاد هذا وأن يلوذ بالغابات ولا يعود حتى لا تذهب ؟

تذهب ؟ لقد غاض قلبه . ان هذا هو ما سوف يحدث يوما ما ، أى ذهابها .

لم يلبث ان رفع رأسه . فيم كل هذا العناء ؟ بالطبع لابد أن تذهب عندما ينتهى عيد الميلاد . هذا شىء

واضح . لكنه ادرك الآن انه لا يطيق التفكير فيه ــ التفكير في ذهابها الى بيوت اخرى ــ الى المراقص والحفلات كالمحتمل ــ حيث تلاقى الآخرين ، وحيث يراقصونها ــ ويطوقها ــ يطوقها كل من جاء يسعى ــ وفيما بعد سوف تتزوج ، بالطبع ، ضابطا أو قسا ، من أبناء ذلك العالم الذى تنتمى اليه .

## من كتاب : رسائل وخطب

بقلم : ابراهام لنكولن

## مذكرة عن محاضرة فى القـــانون
## كتبت حوالى أول يوليو عام ١٨٥٠

أنا لست بالمحامي الضليع . وانني لأجد مادة غزيرة لمحاضره في تلك الموضوعات التي أخفقت فيها . مثلمــا أجدها في تلك التي أصبت فيهـــا نجاحا مقبولا . ان القاعدة الرئيسية للمحامي ، كمــا هي لأى انسان في مهنة أخرى ، هي الاجتهاد . لا تدع الى الغد شيئا يمكن اداؤه اليوم . لا تدع قط مراسلاتك تتخلف عن موعدها . ومهما يكن بين يديك من عمل فقم بكل الجهد الذي يقتضيه مما هو متاح لك في وقته . وعندما تباشر دعوى قضائية عادية ، وكانت لديك عناصرها اللازمة ، فاكتب عريضتها في الحال . واذا كانت تتضمن نقطة قانونية ، فافحص المراجع الخاصة ، ودون المصادر التي تستند اليها في عريضة الدعوى ذاتها ، حتى يتاح لك أن تجدها متى احتجت اليها . وهذا هو ما تتبعه في الدفوع ومرافعات الدفاع . وفي دائرة المعاملات التي لا يحتمل فيهـــا التقاضي ـ القضايا العــادية لتحصل الأموال وحبس الرهون وتقسيم الأصول وما اليها ـ قم بفحص شامل لسندات الملكية وتدوينها ، بل قم أيضا باعداد مسودات للأوامر والأحكام القضائية المتعلقة بها مسبقا . ان هذا الأسلوب له مزايا ثلاثية : ففيه تجنب للاسقاط والاهمال، واقتصاد للجهد متى تم اعداده مرة ، وأداء للعمل خارج

المحكمة فى متسع من الوقت ، وهو أفضل من ادائه فى المحكمة والوقت لا يتسع .

***

وينبغى ممارسة الخطابة المرتجلة وتعهدها بالرعاية والاتقان . فهى السبيل الذى يوصل المحامى بالجمهور . ومهما يكن من اقتداره واخلاصه فى كافة المجالات الأخرى ، فان الناس يتوانون فى تكليفه بأعمالهم اذا لم يكن بوسعه الخطابة . ومع ذلك فلا توجد غلطة أخطر للمحامين الشبان من الاعتماد أكثر مما ينبغى على الخطابة . فلئن زعم أى انسان ، اعتمادا على مواهبه النادرة فى الخطابة ، أنه يستطيع التحلل من الكدح فى دوائر القانون ، فليبشر بخسران قضيته مسبقا .

وعليك أن تثبط الناس عن التقاضى . قم باقناع جيرانك بالتسويات الوسط كلما استطعت الى ذلك بين لهم ان الرابح اسما هو فى الغالب الخاسر الحقيقى — فى الأتعاب ، والنفقات ، وضياع الوقت — ان المحامى فى دور وسيط الصلح أمامه فرصة ذهبية ليصبح الانسان الخير . ولسوف تظل مجالات العمل والمهنة مفتوحة أمامه بما فيه الكفاية .

***

لا تعمل أبدا على دعاوى التقاضى . فلن يوجد قط أسوأ من رجل يفعل هذا . من هو أكثر شرا وشيطانية من ذلك الذى يستقصى وينقب جاهدا فى سجلات الملكية العقارية بحثا عن نواقص فى سندات الملكية يتوسل بها الى اثارة الخصومات وملء جيبه بالمال ؟ انما يجدر أن نبث فى هذه المهنة روح الأخلاق بما يؤدى الى اقصاء أمثال هؤلاء الرجال من نطاقها .

وان مسألة الأتعاب لها أهميتها التى تفوق كثيرا كونها مجرد مسألة كسب قوت وارتزاق . ولوضع هذه المسألة فى موضعها السليم ، يجب أن تراعى العدالة الكاملة بين كل من المحامى وموكله . فينبغى عدم المطالبة بأتعاب باهظة . وكقاعدة عامة على المحامى ألا يأخذ أتعـــابه كاملة مقدما ، والا يحصل الا على مقدم صغير . ان المحامى الذى يتقاضى أتعابه كاملة سلفا ، انما يكون أكثر من بشر عادى اذا استطاع أن يشعر بنفس الاهتمام بالقضية وكأنه لا يزال يتوقع شيئا جديدا له أو لموكله . وأنت عندما تفتقد الاهتمام بالقضية فان العملية سوف يعوزها فى الأرجح عنصر البراعة والاجتهاد فى الأداء . اتفق اذن على قيمة الأتعاب ، وخذ المقدم سلفا . وعندئذ سوف تحس أنك تعمل من أجل شىء ، وسوف يكون من المؤكد تؤدى عملك باخلاص واجادة .

وهناك اعتقاد غامض شائع بأن المحامين هم بالضرورة غير أمناء . وأقول ( غامض ) ، لأننا عندما نتدبر الى أى حد يضع الناس ثقتهم فى المحامين ويقدرونهم ، فمن المرجح أن يبدو ان هذا الانطباع من جانب الناس عن عدم الأمانة غير قوى ولا جلى . ومع ذلك فالانطباع شائع ، ويكاد أن يكون عالميا . فعلى أى شاب يختار القـــانون مهنة ألا يستسلم للاعتقاد الشائع . اعقد عزمك على أن تكون أمينا شريفا فى كل الظروف . واذا لم تستطع وفق تقديرك أن تكون محاميا أمينا ، فاعقد عزمك على أن تكون أمينا دون أن تكون محاميا . اختر لك مهنة أخرى ، فهذا أفضل من مهنة ترضى فى اختيارك لها ، مسبقا ، أن تكون مخـــادعا .

## من كتاب : بارتشستر تاورز

**بقلم : أنتونى ترولوب**

سرعان ما وجد مستر سلوب راحة فى تفكيره بأنه مادام قد أختير قسيسا تحت رئاسة الأسقف ، فقد يكون فى مقـــدوره أن يغتنم كل الأشياء الطيبة لدى الأسقف ، دون أن يقلق باله بابنه الأسقف . أنه وجـــد فى نفسه القدرة على احتمال آلام الحب المرفوض . وعندما استقر به الجلوس فى مركبة القطار فى مواجهة الأسقف ومسز برودى فى مستهل رحلتهم الأولى الى بارتشستر ، بدأ يشكل فى ذهنه خطـة حيـــاته المقبلة . وقد فهم فهما صحيحا بالقدر الكافى الى أى مدى سوف يحلق الأسقف الجديد فى طموحه ، وتكهن بحق أن الحياة العــامة هى أفضل ما يلائم ذوق الرجل العظيم ، أكثر مما تلائمه تلك التفاصيل الصغيرة لتكاليف الأسقفية .

واذن فسوف يكون هو ، مستر سلوب ، فى واقع الأمر أسقف بارتشستر . ذلك ما انعقد عليه عزمه ، ولكى نعطى مستر سلوب حقه ، فقـــد توافرت له الشجاعة والروح لتأكيد ما عقد العزم عليه . وكان يعرف أن عليه أن يواجه معركة قاسية يقاتل فيها ، اذ أن سلطان الكرسى الأسقفى وما له من حق فى تعيين القسيس ســـوف تشتهيهما بنفس القــدر عقلية كبيرة أخرى ، فان مسز

روذى سوف تختـــار هى أيضا أن تكون الأسقف فى بارتشستر . بيد أن مستر ســـلوب أطرى نفسه بأنه يستطيع أن يتفوق على السيدة فى مناوراتها . فانها لابد أن تقيم طويلا فى لندن ، فى حين أنه سيكون دائما فى موقع العمل . وسوف تظل بالضرورة جاهلة لأشياء كثيرة ، بينما سيكون هو عليمـــا بكل ما يتصل بشئون الأسقفية . وليس من شك فى أن عليه أول الأمر أن يصافح ويداهن ، وربما يستسلم ، فى بعض الأمور . لكنه لم يشك فى النصر النهائى . ولئن حبطت كـافة الوسائل الأخرى ، فبوسعه أن ينضم الى الأسقف ضـد زوجته ، وأن يبث الشجاعة فى نفس الرجل المنكود ، فيستأصل سلطان المرأة ، ويحرر الزوج من ربقتها .

على هذا المثال جرت خواطره وهو جالس ينظر الى الزوجين النائمين فى مركبة القطـــار . ولم يكن مستر سلوب بالرجل الذى يقلق نفسه بمثل هذه الأفكار دون ما طائل . أنه يضم بين جنبيه قدرات أكثر من المعـدل المألوف ، وهو على قدر من الشجاعة طيب . وعلى الرغم من أن بوسعه التدنى الى حد التزلف . والتدنى الى الدرك الأسفل فى الواقع . اذا مست الحاجة الى ذلك ، فلا يزال فى اهابه القوة لاصطناع الطغيان والجبروت . ومع القوة لديه بالقطع الرغبة . ان متطلباته ليست من أرفع طراز ، ولكنها بما هى عليه ومتناول اليد تماما ، وهو يعرف كيف يحركها ويتأدى الى غرضه منها . أن موهبته تتمثل فى ذلك اللون من الفصاحة فوق منبر الوعظ ، وهو لون ان لم يكن مقنعا مع الرجال ، فانه قوى الأثر لدى الجنس الأرق . أنه ينحو فى مواعظه بدرجة كبيرة الى التنديد والشجب ، وأنه ليبتعث فى

أذهان سامبه الأضعف لونا من الرعب ليس قطعا غير مستحب ، ويترك فى أذهانهم انطباعا بأن كل الرجال من بنى الانسان فى حالة خطرة ، وكل النساء كذلك، باستثناء أولئك الذين يواظبون على شهود فى محاضراته المسائية فى بيكر ستريت . ان هيـــأته ونبراته صارمة كل الصرامة ؛ الى حد لا يستطيع معه الانسان الا أن يتصور أنه يعتبر الشطر الأكبر من الدنيـــا مطبوع على السوء بما لا تنجع فى رعايته واهتمامه .

وعندما يمشى فى الشوارع فان هذا الوجه ذاته يفصح عن استفظاعه لما فى الدنيا من شرور ومفاسد ، وهناك دائما نظرة رابضة فى زاوية عينة متحقرة لاعلان الحرم الكنسى والتجريد من زمرة المتدينين .

وفى مجال العقيدة فهـــو ، مثل راعيه الأسقف ، متسامح حيـال الانشقاق ، ان جاز أن يطـــلق وصف التسامح على مثل هـــذه العقلية المتزمتة . مع طائفة الويزليين الميثوديين هنـاك ما يشـاطرهم اياه ، ولكن روحه ترتعد كربا وضنى لخطايا طـــائفة البيوزيتيين . ويمتد نفوره منهم وكراهيته لهم الى أشـياء تجمع بين الظواهر والبواطن . مما يثير ســـخطه أن يرى كنيسة جديدة ذات سقف مفرط الانحدار . وان رأى صدارا حريريا أسود كاسيا للصدر كان فى نظره رمزا للشيطان . وعنده أن كتاب نكت دنسا لا ينتهك حرمة العقيدة بأشد مما ينتهكها كتاب للصلاة مطبوع بأحرف حمراء ، ومزدان بصليب على ظهـــره . ومعظم القسس النشطين لهم هواياتهم ، وهوايته هو مراعاة يوم الأحد والحفاظ على اقامة الشعائر فيه . وانتهـــاك قدسية هذا اليوم هو الموضوع الأثير عنـــده الذى تدور حوله كافة فى أحاديثه

المسائية ، وهو معين فصاحته وسر كل سلطانه وتسلطه على قلوب الجنس الأرق .

***

ومستر سلوب طويل القامة ، وليس رديء التكوين . قدماه ويداه كبيرة مثلما كان الشأن في كل أسرته ، لكن له صدراً عريضاً ومنكبين رحيبتين لحمل هذه الزوائد النامية بافراط ، وقوامه على العموم لا بأس به . على أن محياه ليس جذابا بصفة خاصة . وشعره غير مجعد ، لونه ضارب الى الحمرة الباهتة المعتمة . وهو مصفف دائما في ثلاث خصلات مستقيمة ملبدة ، كل منهـــا ممشطة بدقة عجيبة ، ومثبتة بكثير من الدهن . وتلتصق خصلتان منهما قرب الصدغين ، وتقوم الثالثة متعامدة فوقهما . وهو لا يضع سوالف ، وهو دائما حليق الوجه على نحو دقيق . ووجهه أدنى في لونه الى لون شعره ، وان كان أكثر حمرة الى حد يسير . انه لا يختلف عن لون اللحم البقرى ، وان ساغ القول بأنه ضرب من لحم رديء الصنف . وجبينه رحب ومرتفع ، ولكنه مربع وضخم ، ولامع بصورة غير سائغة . وفمه كبير ، وان كانت شفتاه رقيقتين شـــاحبتين . وعيناه الكبيرتان العسليتان في شحوب تبتعثان أي شيء ســوى الثقة ، والطمأنينة اليه . على أن انفـــه هو مصدر التعويض والموازنة في سائر ملامحه الأخرى. فهو مستقيم ومتناسق التكوين ، وان كنت شخصيا اغدو اكثر ميلا اليه لو لم يكن له مظهره الاسفنجي المسامي ، وكأنما شكل ببراعة من فلين أحمر اللون .

# من كتاب : عشرة آلاف فى العام

بقلم : صمويل وارين

بينما كان الباب السامق لذلك البيت القائم فى شارع جرسفتور لا يزال يهتز متأرجحا من فتحة بقوة لدى مقدم الوافد الى مأدبة العشاء ، خف أحد الخـــادمين الواقفين خلف المركبة القادمة من جهة بيكاديللى وتقدم الى الباب فى مثل لمح البصر ، وأعلن بين رنين الجرس المتواصل قدوم ــ دوق ــ آخر الضيوف المدعوين .

كانت المركبة كبيرة وعادية ، بيد أنها معروفة تماما . وقبلها فتح باب البيت الذى عنده المركبة ، مسفرا عن أربعة أو خمسة من الخدم واقفين فى البهو فى بزتهم الأنيقة البسيطة معا ، كان بعض المارة قد توقفوا لكى تقع أنظارهم على الخارج من المركبة ، وكان رجلا متقدما فى السن ، متوسط البنية ، أدنى الى نحول القامة ، مرتديا ملابس سوداء عادية ، له شعر أشيب ومحيا لا ينساه من تقع عليه عيناه . كان هذا القادم من أعاظم الرجال . كان رجلا لم تشهد له أجيال كثيرة سابقة ندا ولا ضريبا . كان اسـمه يلقى الرعب فى قلوب كافة أعداء انجلترا العتيدة فى كل أرجاء العـالم ، بقدر ما يثير الفخـار والاعتزاز والاعجاب فى قلوب أبناء وطنه .

قال بلهجة هادئة للخادم الذى فتح له باب المركبة .

« الحادية عشرة الا ربعا ! » على حين رفع المتفرجون قبعاتهم ، وهي تحية رد عليها وهو يجتاز الرصيف بلمس قبعته بسبابته بطريقة آلية . وعندئذ أقفل باب البيت من خلفه . ومضى المتفرجون القلائل فى طريقهم ، ودرجت المركبة مبتعدة ، وأمسى كل شيء في الخارج هادئا كما كان .

كان البيت بيت مستر اوبرى ، وهو أحد أعضاء البرلمان عن دائرة ياتون ، فى مقاطعة يوركشير . وكان رجلا تزداد أهميته وشأنه ازديادا سريعا فى البرلمان . ومن المحقق ان له منزلة وطيدة ، منزلة أحد الأكابر المستقلين فى الأقاليم ، وواحد من أعرق الأسر النبيلة فى انجلترا ، ينعم بايجار أراض صاف وغير مثقل بالأعباء قوامه عشرة آلاف سنويا ، وقد ظفر حتى الآن ، ولما يجاوز الرابعة والثلاثين من العمر ، بوضع الممثل الشرعى لأفراد طبقته ، وكان له مستقبل مرموق فى أن يغدو واحدا من أكفأ الخطباء فى المجلس . وكان البرلمان قد دعى الى الاجتماع فى صدد موضوع طارىء معين قبل فترة مبكرة من موعده المعتاد ، ثم انفض مجلس العموم فى عطلة عيد الميلاد ، بعد أن ألقى مستر أوبرى فى الليلة الماضية خطابا قويا جاء فى أوانه المرتب ، وكان من المقرر ان يحذو مجلس اللوردات حذو المجلس الآخر فى هذه الليلة ذاتها . والواقع ان مستر أوبرى تلقى التهانى حارة على نجاحه من أفراد الصفوة الممتازة من زملائه المجتمعين فى المجلس ، وكانوا جميعا فى أشد الانتعاش والغبطة بسبب ما تهيأ لحزبهم أن يسجله من فوز باهر فى تلك الجلسة ، مؤكدين لمستر أوبرى ـ وشاطرهم حتى الدوق هذا الرأى ـ أن جهوده قد أسهمت بقدر غير يسير فى احراز هذا الفوز .

وفيما كان فخامة الدوق يسر برايه فى هذا الصدد بحماس لمستر اوبرى ، كانت تنصت اليه باقبال شديد امرأتان حسناوان ، هما زوجة أوبرى وشقيقته . كانت أولاهما امرأة شائقة موفورة الملاحة ، ذات شعر فاحم وشقرة اخاذة ، تناهز الثــامنة والعشرين من عمرها ؛ وكانت الثانية فتاة رائعة الجمـــال ، يتراوح سنها بين العشرين والحادية والعشرين . وكانت كلتاهما ترتدى ملابس فى غاية البساطة والرشاقة . وكانت مسز أوبرى الموفورة التعلق والشغف بزوجها والأم الشــابة النضرة لطفلين من أجمل الأطفال الذين تقع عليهم العين فى النزهات اليومية بحديقتى المدينة الكبيرتين ، كانت فى طباعها وخلقها مثال الرقة والاتساق مع كل ما حولهـــا ومن حولها . أما مس أوبرى فكانت متوثبة الروح الى حد أضفى فتنة وسحرا بالغين الى جمالهـــا . وكانت عيناها الزرقاوان تضيئان بمشاعر فيـــاضة زاخرة . وصفوة القول فان كاترين أوبرى كانت ، محيا وقواما ، مثالا للجمال الانجليزى بكل ما فى هذه الكلمات من معنى . وكانت تعرف ، والحق يقال ، أنها كانت تبدو كذلك لعينى ( الدوق العظيم ) ، الذى كانت تشعر ان عينيه الحادتين الباردتين كانتا تستقران كثيرا عنــدها بالرضا والقبول . والواقع انه قد تأدى من اول نظرة الى ما هو تحت الســـطح من علائم الفطنة والدماثة والجاذبية ، واستشف فى شخص مس أوبرى لونا خاصـــا من قوة الخلق والشخصية المتميزة ابتعث فى نفسه أكثر من الاهتمام العادى بها ، مما اسبغ على قســـماته الفولاذية مسحة من العذوبة رققت من صرامتها .

# من كتاب : الديمقراطية فى أمريكا

**بقلم : اليكسيس دى توكفيل**

فى دراسة القوانين التى أعلنت فى العهد الأول من عهود الجمهورية فى أمريكا ، يستحيل الا تستوقف النظر وتؤثر فى النفس تلك المعرفة الملحوظة البارزة بفن الحكم وارتقاء نظرية التشريع التى تتجلى فيها . ان الأفكار التى جسمتها عن واجبات المجتمع تجاه أعضائه هى بوضوح أكثر تساميا وادراكا من تلك الأفكار التى صاغها المشرعون الأوربيون فى ذلك العهد : اذ فرضت فيها التزامات كانت فى اى مكان آخر محل التجاهل والاهمال . ففى ولايات نيو انجلند روعيت أحوال الفقراء واتخذت التدابير الكفيلة بها . ووضعت اجراءات مشددة لصيانة الطرق وعين المساحون للاشراف عليها . وفى كل دائرة أنشئت السجلات لتدوين نتائج المداولات العامة والمواليد والوفيات وعقود الزواج . وعهد الى موظفين القيام بأعمالها ، والى آخرين بتولى الفصل فى شئون المواريث الشاغرة والفصل فى حدود الأراضى المتنازع عليها . كما أنشئت وظائف أخرى كثيرة كانت أعمالها الرئيسية المحافظة على استتباب النظام العام فى البيئات المختلفة للمجتمع كله . ان القانون يدخل فى الف من التدابير النافعة لعديد المطالب الاجتماعية التى هى فى الوقت الحالى غير مرعية فى فرنسا .

لكن الطبيعة الأساسية للحضارة الأمريكية لا تتجلى على أوضحها الا بالرعاية والاهتمام اللذين اسبغتهما على التعليم العام ووضعته في مقام الصدارة من أول وهلة : ففي هذا يقول القانون : « ان أحد الأهداف الرئيسية للشيطان هو الحيلولة دون أن يتوصل الانسان الى معرفة الكتاب المقدس وذلك بصرفه عن تعلم اللغة . ولكى لا يوارى التعليم فى قبور أسلافنا : فقد استخرنا الله فى الكنيسة وفى أرجاء ولايات الجمهورية أن يؤيد جهودنا من أجل ... » وبعد هذه الديباجة ترد فقرات تنص على اقامة المدارس فى دائرة كل مدينة وتلزم السكان بالانفاق عليها والا كانوا عرضة لغرامات فادحة . وقد أنشئت مدارس من درجات أعلى ، بنفس الأسلوب : فى الأقاليم الأكثر ازدحاما بالسكان . وكانت السلطات البلدية ملزمة باجبار آباء الأطفال على ارسالهم الى المدرسة ، مع تخويلها سلطة توقيع الغرامات على جميع من يرفضون الامتثال لذلك . وفى حالة استمرار العصيان فان المجتمع كان يتقلد مكان الوالد ، فيستولى على الطفل ، ويحرم الوالد من تلك الحقوق الطبيعية التى يستخدمها لمثل هذا الغرض السيىء . ولا شك أن القارىء قد فطن الى الباعث الممهد لهذه القوانين : ففى أمريكا يعتبر الدين الطريق الى المعرفة ، ومراعاة القوانين الالهية تؤدى بالانسان الى الحرية المدنية .

***

ماذا نحن بعد أن ألقينا نظرة سريعة على حالة المجتمع الأمريكى فى عام ١٦٥٠ ، التفتنا الى حالة أوربا ، والى حالة القارة ذاتها بصفة خاصة ، فى نفس الفترة ، فلن نتوانى فى الاحساس بالدهشة . ففى القارة الأوربية عند بداية القرن السابع عشر ، كانت الملكية المطلقة قد انتصرت

فى كل مكان على أنقــــاض حكومات القلة الاستغلالية ( الأليغارشية ) والنظم الاقطاعية للعصور الوسطى . فلم يسبق قط ان كانت نظريات الحقوق مستوجبة للكراهية القامة مثلما كانت فى ابان عهد الأبهة والأدب فى أوربا . ولم يسبق قط أن قلت النشاط السـياسى بين صفوف الشعب مثل قلته وقتئذ. ولم يسبق قط ان كانت مبادىء الحرية الحقيقية اقل انتشارا مثلما كانت اذ ذاك . ففى ذلك العهد بعينه كانت تلك المبادىء ، التى كانت محتقرة أو مجهولة لدى شـعوب أوربا ، معلنة فى صحراوات الدنيا الجديدة ، وكانت مقبـولة كعقيدة المستقبل لأمة عظيمة . وان أكثر النظريات جرأة للعقـل البشرى قد وضعت موضع التطبيق على يد مجتمع شديد التواضع الى حد أنه لم يتعطف أى رجل دولة واحد فيوليهـــا عنايته . وكذلك ولد ارتجالا تشريع لا سابق له بفضل ملكة الخيال لدى المواطنين .

# من كتاب : ماريا تشابدلين

بقلم : لويس هيمون

منذ حلول الشتاء كثيرا ما راحوا يتحادثون فى دار تشابدلين عن العطلات ، وها هى ذى الآن أصبحت وشيكة .

قالت مدام تشابدلين ذات مساء :

ــ ترى هل سيجيئنا زائرون فى عيد رأس السنة .

وأنشأت تستعرض قائمة بأسماء الأقارب والأصدقاء الذين يمكنهم القيام بهذه المغامرة ، قائلة :

ــ ان ( ازاطا لاروش ) لا تقيم بعيدا جدا عنا ، لكنها ليست بهذا القدر من النشاط . وأصحابنا فى ( سان بريم ) لن يهتموا بالقيام بهذه الرحلة . وربما يركب ويلفريد أو فردينان من ( سان جيديون ) اذا كانت ثلوج البحيرة فى حالة طيبة .

وتنهدت بصورة دلت على أنها ما زالت تحلم بالانتقالات الذاهبة والآيبة فى الأبرشيات القديمة فى مقدم العام الجديد وما يصابها من ولائم العشاء العائلية والزيارات غير المرتقبة من جانب الأقارب قادمين بمركبة الجليد من القرية المجاورة وهم غارقون بين الدثارات والفراء ، يجرها جواد ابيضت كسوته بطبقة من الصقيع .

اما ماريا فقد كانت أفكارها تدور فى وجهة أخرى ، اذ قالت :

ـ اذا كانت الطرق سيئة مثلما كانت فى العام الماضى ، فلن نتمكن من حضور قداس نصف الليـــل . ومع ذلك فاننى كنت أتمنى هذا من كل قلبى هذه المرة ، وقد وعد أبى ...

وتطلعنا من خلال النافذة الصغيرة الى السماء المربدة ، فلم تجدا مما يبهج النفس الا اليسير . ان الذهاب الى قداس نصف الليل هو الرغبة الطبيعية والقوية لكل فلاح فى كندا الفرنسية ، حتى لأولئك المقيمين عند أقــاصى المستوطنات . اى شيء لا يمكن أن يواجهوه لتحقيق هذا المطمح المشتهى ! ان زمهرير الأصقاع القطبية ، والطرقات المطموسة المعــــالم ، والمسافات الشاسعة ـ كل أولئك لا يعدو أن يضيف الى جو الاثارة والروعة والخفــاء . ان الذكرى السنوية لميلاد يسوع هذه هى عندهم أكثر من مجرد تاريخ محدد فى التقويم مقترن بالشـــــعائر الملائمة . انها تعنى وعدا متجددا بالخلاص ، وانها لمناسبة للابتهاج العميق ، وأولئك الذين يجتمعون فى الكنيسة الخشبية فقد أشربت قلوبهم بوقدة الحماس الخالص ، واستحوذ على نفوسهم أعمق الاحساس بما فوق هــذا الوجود . وفى هذا العام كانت ماريا تهفو نفسها أكثر من اى عام آخر لشهود القداس بعد تعاقب أسابيع طويلة من البعد السحيق عن البيوت المعمورة والكنائس . والتعطفات التى سوف تقبل على طلبها بمزيد من السرور كان الأمثل بها أن تستجاب لو أنها استطاعت أن تزجيها أمام المذبح ؛ تعززها فى الصعود الى السموات أجنحة الموسيقى .

ولكن حوالى منتصف ديسمبر سقطت ثلوج كثيرة ،

جافة ودقيقة كالتراب ، وقبل ثلاثة ايام من عيد الميلاد هبت الريح الشمالية الغربية فكانت ايذانا بنهـــــاية الطرق . وفي غداة يوم العاصفة ، أسرج شابدلين ( شارل أوجين ) الى مركبة الجليد الثقيلة وارتحل مع تيت بي حاملين المجارف لشق الطريق أو تمهيـد طريق آخر . وبحلول الظهر عاد الرجلان منهوكي القوى مبيضين من الثلوج ، مؤكدين انه لن يتم اختراق الطرق بين الثلوج لعدة أيام قادمة ، وان لابد من احتمال خيبة الأمل . فلم تتمالك ماريا أن تنهدت ، ولكن خطرت لها فكرة مؤداها انه قد تكون هناك سبل أخرى لنيل الحظوة الربانية ، اذ قالت والليل يرخي سدوله :

ـ هل صحيح يا أمي انك اذا كررت ( سلام العذراء ) ألف مرة عشية عيد الميلاد ، تحظين دائما بما تلتمسينه ؟

فردت أمها قائلة بلهجة التقوى :

ـ صحيح جدا . ان من تشتهي منه وتردد ( ســلام العذراء ) ألف مرة باخلاص قبل منتصف الليل عشية عيد الميلاد ، قلما يخيب دعاؤها في تحقيق ما تبتغي .

***

وعشـية عيد الميلاد كان الطقس باردا ولكن بلا روح . فخرج الرجلان مبكرين في محاولة أخرى لشق الطريق دون أن يخامرهما رجاء كبير في النجاح . ولكن قبل رحيلهما بفترة طويلة ، بل قبل طلوع النهـــــار بوقت طويل ، انشأت ماريا في ترتيل ( سلام العذراء ) . فقد استيقظت في بكرة الفجر وأخرجت مسبحتها من تحت الوسادة وأخذت تكرر الصلاة بسرعة وهي لا تنتهي من آخر كلماتها حتى تبدأ أولاها دون توقف وهي تعد حبات المسبحة واحدة واحدة .

وكان الباقون لا يزالون نياما ، لكن الكلب شيان ترك مضجعة عند المدفأة عندما رآها تحركت.جاء يجلس بجانب الفراش مسندا رأسه برصانة فوق الأغطية . فسرحت ماريا بنظرها الى خطمه الأبيض الطويل المسند فوق غطاء الصوف البني ، وعينيه الصافيتين المفعمتين بالثقة والاتكال المؤثرين ، وأذنيه المدلاتين الصقيلتين . ذلك ولم تكف لحظة عن الهمس بكلمات الصلاة المقدسة .

# من كتاب : موبى ديك

بقلم : هيرمان ملفيل

لكى يجعل الانسان المركبات تجرى بسهولة وسرعة ، فانه يقوم بدهنها بالزيت أو الشحم . ولمثل هذا الفرض ذاته ، يقوم صيادو الحيتان بعملية مشابهة فى قواربهم . فانهم يشحمون قيعانها . ولا مجال الشك فى أن مثل هذه العملية لا ضرر منها ، وقد تكون لها مزية لا يستهان بها ، اذا تدبرنا أن الزيت والماء متضادان ، والزيت مادة منزلقة ، فالعملية فى ذاتها تجعل القارب ينزلق بقوة . ان كويكونج كان يؤمن ايمانا جازما بتشحيم قاربه ، وذات صباح بعد اختفاء السفينة الألمانية جونجفرو ، بذل جهدا أكثر من المعتاد فى هذه العملية . كان القارب مائلا على جانبه ، فزحف الى ما تحت قاعه وأخذ يدلكه بالمادة الدهنية بكل دأب وحمية . وكان يبدو أنه مندفع فى عمله باحساس داخلى غريب عن شىء سيتبع . وقد بينت الأحداث ان ما فعله كان له ما يبرره .

***

وحوالى الظهر ظهرت الحيتان فوق سطح المياه . لكن ما أن أسرعت السفن اليها حتى استدارت وهربت بسرعة واندفاع . كان هربتها بغير انتظـــام ، كما هربت سفن كليوباترا من أكتيوم .

ومع ذلك فقد تابعتها القوارب ، وكان قارب ستاب

فى المقدمة وبعد جهد جهيد نجح تاشتيجو أخيرا فى غرس الحربون فيه . ولكن الحوت المطعون ما برح . دون أن يغوص فجأة قط ؛ مستمرا فى هربه الأفقى ؛ بسرعة مضاعفة . ان مثل هذه الشدات المتقطعة التى يتعرض لها الرمح المغروس لابد ان تؤدى حتما الى نزعه عاجلا أو آجلا . وأصبح من المحتم رشق الحوت الهارب بالحربة ، أو القناعة بفقده . ولكن عملية دفع القارب ليكون فى محاذاة الحوت كانت مستحيلا ؛ اذ كان يسبح بكل سرعة وعنف . فماذا بقى اذن ؟

لا يوجد بين كل عجائب الحيل والبراعات والخدع اليدوية وصنوف المكر التى كثيرا ما يضطر اليها صائد الحيتان المخضرم ما يفوق تلك الخطة البارعة التى يطلق عليها أسم ( القذف العمودى ) . ان السيف الصغير أو السيف العريض لا يمكن أن يضارعها . انها شيء لا غنى عنه مع حوت هارب بعناد . ان خاصيتها العظمى هى فى تلك المسافة العجيبة التى يقذف منها الرمح الطويل بدقة من قارب مهتز متطوح بعنف وفى حالة تقدم قصوى . ان الرمح بما فيه من الفولاذ والخشب يبلغ طوله الاجمالى نحو عشرة أقدام أو اثنى عشر قدما . وقناة الرمح أخف كثيرا من قناة الحربون ، وهى أيضا من مادة اخف ، خشب الصنوبر والرمح مزود بحبل صغير عظيم الطول يمكن به سحب الرمح الى اليد بعد قذفه .

ولكن قبل أن نمضى فى البيان ، من المهم أن نذكر هنا انه وان كان الحربون يمكن استخدامه للقذف العمودى بنفس طريقة الرمح ، الا أن هذا قليل الاستعمال . واذا أستعمل ، فقليلا ما ينجح ، بسبب زيادة وزن الحربون ونقص طوله بالمقارنة بالرمح ، وهو ما يؤدى نتيجة لذلك

الى عوائق خطيرة . والمهم عموما هو انه لابد لك قبل كل شيء من ادراك الحوت باقصى سرعة قبل مباشرة عمليه ( القذف العمودى ) .

***

وانظر الآن الى ستاب . انه رجل له من تمام الهدوء والأناة ومن رباطة الجأش فى أرهب الطوارىء ما جعله مؤهلا بصفة خاصة للتفوق فى ( القذف العمودى ) . أنظر اليه . انه يقف منتصبا فى المقدمة المتأرجحة للقـــارب الطائر ، والحوت المتقـــدم المغطى بالزبد الناعم يسبق بأربعين قدما ، ولا يلبث ستاب اذ يمسك بالرمح الطويل بخفة وهو ينظر مرتين أو ثلاثا الى طوله لكى يطمئن الى استقامته تماما ـ لا يلبث أن يجمع طيات الحبل فى يد وهو يصفر لكى يثبت طرفه الخالى فى قبضته ، تاركا باقية مرسلا . وبعـد أن يمسك بالرمح فى وضـع أمام حزامه ، يسدده الى الحوت . وعندما يحكم التسديد لا يلبث أن يخفض كعب الرمح فى يده تدريجا ، رافعا بهذا طرفه الى أن يقف الرمح متوازيا فى راحته ، مرتفعا خمسة عشر قدما فى الهواء . انه يذكرك بالحاوى عندما يوازن عصا طويلة فوق ذقنه . وفى اللحظة التالية ، وبدفعة سريعة خاطفة ، يعبر الفـــولاذ البارق فى حركة قوس شاهقة رائعة فوق الزبد ، ثم يستقر مهتزا فى مقتل من الحوت . وبدلا من المياه المتلألئة ، ينبثق الآن من الحوت دم أحمر .

وهنا هتف ستاب : « ضربة أطارت السدادة التى كانت تحبس دمه ! هذا يوم الرابع من يوليو ، العيد الخـالد . كل الينابيع لابد أن يتدفق خمرها اليـوم ! يا ليته الآن كان ويسكى نيو أورليانز المعتق ، أو أوهيو ، أو مونونجاهيلا المدهش ! تاشتيجو يافتى ، وقتها سأرفع

الابريق الى الينبوع ، ونشرب ونشرب حـــوله ! وحق رأسك . سوف نقوم بتخمير شراب ممتاز في مكان جرحه هذا الذي يتفجر منه الدم ، ونعب عنه الشراب الحمى الى آخر جرعة ! » .

ومرة بعد مرة ، وبين هذا الكلام المرح ، يتكرر اطلاق الرمح بهذا الحذق الفريد ، ثم يعود الرمح الى صاحبه البارع وكأنه كلب صيد شديد بالمقود يد صناع مدربة . ويستمر الحوت المحتضر في فورته المتضائلة . ويقصر الحبل الذي يقطره الى القارب . ويرنو الصياد البارع في مؤخرة القارب مشبكا يديه ، مراقبا في صمت الوحش الضخم وهو يلفظ أنفاسه .

## من كتاب : رحلة الرجل الغربى فى الحياة

بقلم : سترنجفيلوبار

ان النظام الاقتصادى للعصور الوسطى بأسره ، كان فى المفهوم انه نظـــام لتوفير الأساس الحيوانى ، أو بالأحرى الجسدى ، لحياة الانسان المسيحى فحسب . لأن الانسان ، كما نوه القديس توما الآكوينى ، نزاع ، بالاضافة الى اتباع الشهوات الحيوانية ، « الى معرفة الحقيقة عن الخـــالق والى العيش فى جمـــاعات مشتركة » . كان رجل العصور الوســطى ، سواء فى القرية الاقطاعية أو فى نقابة التجار أو الصناع أو فى انتقسيمات الأخرى ، يفكر فى نفســه كعضو فى جماعة متحدة مع سائر الأعضاء بعقيدة مشتركة . لكن لما كان الانسان ناقصا ، ولما كان فقدان العدل يهدد كل مجتمع بشرى ، فقد كان محتما قيام نظام سياسى . وفى العصور الوسطى كان هذا النظام هو الاقطاع . وبمقتضاه كانت الطبقة الحاكمة ، طبقة النبلاء ، تعيش من كد رقيق الأرض . وكان للأمة ( بوصفها وحدة سياسية خاضعة لحكم ) ، مثل الجسد الانسانى ، تقسيمات مختلفة يخدم وتؤدى مختلف الوظائف . كان هنـــاك القسس الذين يقومون بمهام الكهنة ، والنبلاء الذين يحكمون ، ورقيق الأرض الذين يعولون الجميـــع بكدهم . كان التحكم فى الأرض ، واقامة العدل ، وسن القانون ، وحماية الناس ،

كانت جميعا فى نفس الأيدى . كان النبلاء ، كما كتب جون ويكليف ، معترضا انهم « يدافعون عن شريعة الله بالسلطان الدنيوى » . كانت الاقطاعية ممنوحة — أو بالأحرى غير مملوكة ملكة صريحة — من سيد أعلى ، الذى يحوز الأرض بدوره من سيد آخر ، وهكذا باطراد حتى يصل الأمر نظريا الى الامبراطور . وكان على الذى يحوز الأرض أن يؤدى لسيده جزءا من الناتج ، ويقدم اليه المساعدة العسكرية فى الحــرب ، ويحضر الى بلاطه . وبحلول القرن الثالث عشر عملت الكنيسة على التخفيف من الواقع الجائر الخاص بوجود طبقة اجتماعية منغلقة محاربة تعيش من كد السكان العبيد الأرقاء ، وعلى تقريبه من دائرة المنطق والمعقول . فحاولت بما عرف ( بهدنة من الله ) أن تحرم فى أيام معينة فى الأسبوع وفى فصول معينة من العام قيام الحروب الخاصة التى كان النبلاء مشغفون بشنها بعضهم ضــد بعض . وبنيت الكنيسة مسئوليات طبقة النبلاء تجاه المجتمع : وهى اقامة القانون الصالح والحكم الصالح وعدم ظلم النـــاس بغير الحق . وحاولت أن تسبغ طابعا دينيا على النظام الاقطاعى كله عن طريق التــــأثير فى ادماج الفرســان فى طبقتهم ، وبالاصرار على وجوب أن يحب الفارس الله وأن يــكون مخلصا فى ايمانه ، وأن يؤازر الكنيسة ، وأن يكون وفيا بعهد الولاء لسيده الاقطاعى بارا بعهده ، وأن يحمى وينجد الضعيف والمظلوم . وكان المثل الأعلى للسلوك الفروسى الذى حددته العصور الوسطى كالتزام للنبيل هو ما جاء مثـــاله فى القصص الرومانسية للملك آرثر ومائدته المستديرة . وقصارى القول كان النبيل له قوة كبرى ، ولكن الكنيسة واحساس المجتمع كانا يطلبان منه مستوى رفيعا فى التطبيق .

وفي داخل البلدان كان بناء المجتمع يتغير بما ادت اليه التجارة من مضاعفة الثروة والرفاهية ، وبما حققه الأفراد من تقدم في مختلف مراتب النقابات . ولكن خارج أسوار المدن . وفي أرجاء الريف ، ظلت التقسيمات الاجتماعية سائدة . كان ثمة تفرقة شبه روحية بين دم النبيل ودم الرقيق المستعبد . والواقع ان هذه التفرقة لابد كانت ظاهرة سطحيا . لقد ظل الفلاح على مدى الأجيال ينشأ للكد والكدح . وظل النبيل على مدى الأجيال ينشأ للقتال والتسيد . زى مختلف ، وعادات مختلفة ، ومجموعة مختلفة من فضائل خاصة ملائمة لأوضاع ووظائف خاصة في المجتمع . كل أولئك كان يشكل هوة عظمى . وجرى فى الافهام ان هذه الهوة هى من صنع الله . ثم كان هناك بمعزل عن النبلاء والعبيد الأرقاء على السواء ، وتحت رداء آخر ومهنة أخرى وطقوس مقدسة ، صنف آخر غير هؤلاء وهؤلاء : القسس .

« الله قسم الناس ثلاثا
فلاح وفارس وقسيس »

ويميل المحدثون الى التساؤل فى عجب لماذا احتمل الناس من رقيق الأرض مثل هذه الشدائد . لكن رقيق الأرض هؤلاء لم يكونوا متلهفين لأخذ سلطان الحكم فى أوربا فى ايديهم أكثر من تلهف طفل مطواع مأخوذ بالانضباط ليتسلم مقاليد الأمور فى بيت أسرته . انه ليستشرق الارشاد والتوجيه عند سيده . وهو يطمع ولا شك أن يكون سيده عادلا ، ولكن سيده لم يكن مسئولا عن المظالم أمام رقيق أرضه ، ولكن أمام الله جل شأنه . والرقيق مسئول أمام الاله ذاته فى بذل ولائه

للسيد . فان هو قصر فى مسئولياته تجاه سيده وتجاه زملائه فى الرق ، جاز طرده من دائرة الاقطـاعية لـكى يصبح جواب آفاق ، رجلا بلا سيد ، وهو ما قـد يعنى فى ذلك المجتمع الخطر القاسى الوقوع بسهولة فى أسر تجار الرقيق . كلا . كان واجبه كما يراه هو أن يتفانى فى الخدمة بولاء واخلاص . ومع التسليم بهذه العلاقة المحددة والمتبادلة ، كانت هناك احتمالات عظيمة للرحمة والعطف . فقد كان يجوز أن يعرض السيد الاقطاعى فى وصيته للعبـد الرقيق وانتاج بطنـه ، كما يعرض الانسان لذكر حيوان أو كلب وجرائه . لكن ما كان أعمقها من رابطة تلك التى كانت بين كثير من سادة الاقطـاع و ( مواليهم ) !

***

من هذه اللمحـــة الموجزة فى كيان دنيا العصور الوسطى ، يجوز لنا أن نستخلص أحكاما محددة . كان الناس مقسمين تقسيما دقيقا لا ينفصم ، طبقا للوظائف التى يتطلبهـا المجتمع والتى يفرزهم لأدائها تقسيمهم الخاص بهم . وكانت جميع الأنشطة موجهة الى واجب الانسان لربه وواجبه نحو جاره . وكانت الكنيسة تعمل على توطيد الصلة بينه وبين الله . وكان النبلاء يضطلعون بمهام الحكم والدفاع . وكان رقيق الأرض يتكفلون بانتاج الطعام للجميع . وكان الحرفيون يزودون هذا العـالم المسيحى باحتياجاته البسيطة من السلع الصناعية . وكان التاجر يتولى مبادلة السلع بين مكان وآخر . لكن لا يجدر بنا أن نتوقع فى المؤسسات البشرية لذلك العالم ، سواء كانت اقطاعية أو نقـابية حرفية أو نقابية تجارية ، أن تعكس ارادة الله أو أمر السماء الا موسومة التشوهات التى تفرزها رذائل الانسان وضعف البشر . واذا نحن لم

نقتنع بعد بأن هذا النظام كان على الأقل هو ما يتطلع اليه باصرار رجل العصور الوسطى، فلنبحث فى حياته الفكرية عن غرضه فى الحياة . فمن الجلى ان الوحدة المثـــالية للعالم المسيحى تعبر عنها بأوضح صورة كتابات ذلك العهد ، أكثر مما توضـــحه التنظيمات العملية القاسية لشئونه السياسية والاقتصادية .

ومن حسن حظنا ان رجل العصور الوسطى قد عبر بأسلوب فكرى واضح عن ايمانه بالله وبغايته فى الحياة البشرية . ومدوناته فى هذا الشأن قد وضعت برعاية من الكنيسة وتحت ظلها . فان الكنيسة لم تتول فقط شئون العبادة للنبلاء ورقيق الأرض وأرباب الحرف ، بل كانت تتولى التفكير عنهم كذلك وتدبر شئونهم . والواقع ان المستشفيات والفنادق وملاجىء الفقراء وغيرهم لم تكن فقط مهام الكنيسة ، بل كانت كذلك المكتبات والمدارس والجامعات . كانت الجامعة تتبنى ، الى جانب المجتمع كله ، الفكر القائل بأن كل شىء نابع من الله والى الله . فكان علم اللاهوت ودراسة الالهيات اذن هو ( ملك العلوم ) جميعا . وكان لابد لكافة الموضوعات الأخرى أن تنتسب الى هذا اذا أريد لنتائجها ودلالتها أن تكون صحيحة وشرعية .

# من كتاب : موحشة ، وعزيزة

**بقلم : مارى ويب**

لكن الوقت لم يحن بعد للـــكلام عن كيستر . انها قصتنا جميعا فى ( سارن ) ، قصة أمى وجيديون وأنا ، وقصة جانسيز ، وبيجيلدى العراف ، وقصة الشخصين أو الثلاثة الآخرين الذين عاشوا فى تلك الأنحاء . انهـــا القصة التى شرعت فى حكايتها . أنهم لم يكونوا سوى قلة من الناس ، وربما يظنون هكذا على الدوام ، لأن المكان يحف به كل ما يثبط الهمة . ربما كان هو ارتطام المياه ، سنة آتية وسنة ذاهبة ، حيثما نظرت وتسمعت ، فالمياه المياه . أو هى الأشجار الضخمة ، الرابضة والمرتقبة عن يمينك وعن شمالك . أو هو هدوء المكان المطبق ، وكأنه لم يجىء الى الوجود الا منذ ساعة مضت ، ولم يجىء الى الوجود من اجلنا . أو ربما لأن التربة فقيرة كل الفقر ومستنقعية ، خوت أعشابها الا قليلا من مقومات الطبيعة ومن أى خير ، وهو ما يبدو على أشده حيثما تنبت الاقصاب والسمار بوفرة ، وزهرة الربيع العطرى أيضا ، التى نسميها ( بيجل ) ، أو مفاتيح السماء . وانه لشىء رائع أن نرى مروجنا فى سارن عندما يكون زهر الربيع الفطرى فى أوان ازهاره . عندئذ تراها كاسية بالذهب ، حتى لا تظن أن قدماه يجوز أن تخطو بجانبها ، وحتى قدم ملك . وعندئذ تستطيع أن تملأ يديك من الزهر

الذهبى قبل أن يردد الدج تفريده . حيثما وليت وجهك وأدرت نظرك لا يصافحك الا مشهد الذهب ، باستثناء ناحية سارن ؛ حيث تبدأ الغابات والمنبسط المائى الداكن الشاسع ؛ يبرق ويتقلص بريقه فى الشمس . وفى هذا الطقس الربيعى البديع لا تبدو الغابات ولا المياه الداكنة قاتمة ، حينما تتجدد الأوراق ؛ وتكتسب البراعم لون القمح فى أعالى أشجار البتولا . وانمـــا تبدو دائما فى غابتنا البلوطية فقط مسحة انصرام العام ، اذ تكون أوراقها الفضة شديدة السمرة . وهكذا نجد دائما ريح أكتوبر فى مايو عندنا ولـــكنه من المبهج أن نجلس فى المروج ونسرح النظر بعيـــــدا الى التلال النائية . ان أشجار اللاركس الأرزية ترتفع مستدقة بخضرتها البانعة ، وتحس كأن عسجد أزهار الربيع العطـــرة قد سرى الى شغاف قلبك ، وحتى بحيرة سارن لا تبدو الا كغمامة زرقاء فى غمامة صفراء من قمم أشجار البتولا . بل ان المكان كله يلفه شيء أقرب الى الحلم ، حتى لو أن نحلة برية ، ناهيك بنحلة طنانة ، حومت عن كثب ، لأجفلت منها كما تجفل من صرخة مفاجئة . ولو أن نحلة دخلت الآن من نافذتى وحطت على انائى الذى به زهرة المنثور ، لما صرفنى ذلك عن استيعاب المشهد الذى يتجلى من خلال النافذة :

بحيرة ( بلاش ) الراقدة تحت أشعة الشمس ، فيما وراء الغابات ، وهى تبدو كقطعة من زجاج قارورة مثلمة . ان بحيرة بلاش أكبر من بحيرة سارن ، وليس بقربها شجرة واحدة ، وحيثما لا توجد تلال فيما وراءها ، تستطيع أن ترى السحب مفروشة فيها لدى الجانب البعيد ، وقد تعودت أن أظنها تبدو مثل زنابق الماء البيضاء التى تنبت حول أطراف سارن من منتصف الصيف الى نهايته . ولم يكن ثمة شيء عن بلاش يختلف عن أية بحـــيرة أو بركة

أخرى . ولم تكن فى مياهها كدورة مثلما هو موجود فى سارن ، ولا عندها قرية تدق أجراسها تحت السفوح البعيدة . ان ما يقوله أهل سارن عنها لهو الحق ، ففيها جماع كل شيء .

وفى بلاش كان مقام أسرة بيجيلدى ، وفى بيتهم الذى كان نصفه بناء حجريا ونصفه قبوا تعلمت القراءة . ولقد يبدو شيئا غريبا فى نظـــــرك ان تستطيع امرأة متواضعة المنبت مثلى أن تكتب وتقرأ ، وأن تدمج كل هذه الأشياء فى كتاب . والحق اننى عندما كنت فتـــاة صغيرة لم تكن هناك سيدات كثيرات حتى من كبيرات المقام يمكنهن الكتابة لأكثر من رسالة غرامية ، وبعضهن لا يستطعن أكثر من كتابة جملة ( هذا سفرجل وتفاح ) على قدور المربيات التى يصنعنها ، وبعض ثالث كن يجدن كل المشقة فى تدوين أسمائهن فى سجل الزيجات . وكثيرات أولئك اللاتى كن يجئننى ، مرة بعد مرة ، لكى أكتب لهن رسائلهن الغرامية . ويا لها من مهمة مريرة لمثلى ، أن تكتب رسالة غرامية على لسان أخرى ، من ذوب قلبك المكلوم المحترق .

## من كتاب : جود ــ المغمور

**بقلم : توماس هاردى**

كان بوسعها الآن أن تدخل ( مارى جرين ) دون أن تثير التفــاتا كثيرا . وهكذا عبرت مارة بالبئر وتحت الأشجار الى مكان المدرسة الجديدة الجميلة فى الجانب الآخر ، ورفعت رتاج المسكن دون أن تطرق الباب . كان فيلوتسون واقفا فى وسط الغرفة ينتظرها ، طبقــــا للمطلوب .

قالت وقد بدت شاحبة مضعضعة وهى تتهالك فى مقعــد :

ــ لقد جئت يا ريتشارد . لا يمكن أن أصدق ــ انك تصفح عن ــ زوجتك !

فقال فيلوتسون :

ــ عن كل شىء ، يا حبيبتى سوزانا .

انتفضت لدى هذا التحبب ، وان كان قد تفوه به فى أناة ، وبغير حرارة . ولم تلبث أن تماسكت من جديد ، قائلة :

ــ ان أطفالى ــ ماتوا ــ ومن الحق أنهم كذلك ! بل اننى مسرورة بهذا ــ أو أكاد ــ أنهم كانوا ثمرة الخطيئة . انهم ذهبوا قربانا لكى أتعلم كيف أعيش ! ان موتهم كان

المرحلة الأولى في تطهير نفسي . وهذا هو السبب فى انهم لم يموتوا عبثا ! .. هل تقبل عودتى اليك ؟

لقد اشتد تأثره بكلماتها المثيرة للشفقة وبنبرات صوتها الى حد انه فعل أكثر مما كان فى نيته أن يفعل . لقد انحنى وقبل وجنتها .

تراجعت سوزانا مبتعدة دون وعي وبشرتها تختلج تحت لمس شفتيه . فشعر فيلوتسون بقلبه يغوص ، اذ أن وجودها أذكى مشاعره من جديد .

ـ هل مازلت تشعرين بالكراهية ؟

ـ أوه ، لا يا عزيزى . اننى ركبت اليك وسط المناطق المرطوبة وشعرت بشدة البرد !

قالت هذا بابتسامة اشفاق عجلى ، ثم أردفت :

ـ اذن فسوف نعقد ( الزواج ) قريبا ؟

ـ صباح غد ، مبكرا ، كما فكرت ـ ان كنت ترغبين حقا ؟ اننى ـ سأتصل بالقس لكى أعرفه بحضورك . اننى اخبرته بكل شيء ، وهو موافق تماما ـ لقد قال أن هذا سوف يجعل حياتنا تصل الى نهاية سعيدة موفقة . لكن ـ هل أنت متأكدة من نفسك ؟ أن الوقت لم يفت تماما بعد لكى ترفضى الآن اذا ـ كنت ترين ان نفسك لا تطاوعك على هذا .

ـ نعم . نعم . هذا بامكانى ! أريده أن يتم بسرعة . ابلغه . ابلغه حالا . ان قوتى قد أوهنتها هذه التجربة الشديدة التى امتحنت بها ، لا يمكننى الانتظار طويلا !

ـ تناولى اذن شيئا تأكلينه وتشربينه ، وانتقلى الى غرفتك فى بيت مسز ايدلين . سوف أقول للقس أن

الموعد هو الثامنة والنصف غدا ، قبل أن يوجد أحد هنا أو هناك ، ان لم يكن هذا الموعد مبكرا بالنسبة اليك . ان صديقى جيلنجهام موجود هنا لمساعدتنا فى الاجراءات. انه تفضل بالقدوم كل هذه المسافة من شاستون متكبدا أكبر المشقة .

وفيما هى تجتاز البهو لكى تضع غطاء اليدين الفرائى الجالى للدفء بدرت منها آهة يسيرة وازدادت شحوبا عن ذى قبل . كانت نظرتها هى نظرة الجانى المحكم عليه بالإعدام الذى يقع بصره على التابوت المعد له .

قال فيلوتسون : « ماذا ؟ » .

لقد تصادف ان كان مصراع المنضدة مفتوحا ، وبينما كانت تهم بوضع غطاء اليدين فوقه لمحت عينها وثيقة كانت موضوعة عليه . ولم تلبث ان قالت فى عودتها محاولة بضحكة أن تلاشى الصوت الذى بدر منها :

ـ أوه ـ مجرد ـ مفاجأة لطيفة !

فقال فيلوتسون :

ـ آه ، نعم . الترخيص . . . انه جاء منذ فترة قصيرة.

وانضم اليهما الآن جيلنجهام قادما من غرفته العلوية ، وعملت سوزانا بأسلوب أقرب الى العصبية على أن تكون مقبولة لديه بالكلام فيما بدا لها أنه يمكن أن يثير اهتمامه، الا عن نفسها ، وان كان هذا هو ما يهمه أكثر من أى شيء آخر . وقد امتثلت وتناولت بعض العشاء ، وتأهبت للخروج قاصدة الى مسكنها القريب . واجتاز فيلوتسون المرج معها ، وعند باب مسز ايدلين تمنى لها ليلة طيبة .

وقد رافقتها المرأة العجوز الى مسكنها المؤقت وساعدتها

فى فك متاعها . وكان من بين ما أخرجته رداء نوم موشى بذوق وأناقة ، فسارعت سوزانا تقول :

ـ أوه ، لم أعرف أن ( هذا ) كان من بين ما جئت به . ولم يكن فى نيتى أن يوضع هنا . اليك رداء مختلفا غيره .

وناولتها رداء جديدا وبسيطا كل البساطة من الشيت الخام الخشن . فقالت مسز ايدلين :

ـ لكن الأول أجمل . أما هذا فليس أحسن من الخيش!

ـ نعم ، هذا ما أقصده . هاتى الأول .

وأخذت القميص الموشى وأنشأت تمزقه بكل قواها وصوت التمزيق يتجاوب فى البيت كصوت البوم الصياح.

ـ لكن يا عزيزتى ، يا عزيزتى ! ما الذى ..

ـ هذا رمز الفجور ! انه يعنى ما لا أشعر به ـ لقد ابتعته منذ فترة بعيدة ـ لكى أرضى ( جوا ) . ولابد من اتلافه نهائيا :

رفعت مسز ايدلين يديها ، ومضت سوزانا فى تمزيق القميص اربا ، ملقية بالقصاصات فى النار .

قالت الأرملة :

ـ كان يجب أن تعطيه لى ! ان قلبى يتوجع عندما ارى مثل هذا القميص المخرم الجميل يحترق فى النار ، وان لم يكن معنى هذا ان مثل قمصان النوم هذه يمكن أن تستفيد بها عجوز مثلى . ان عهدى بأمثالها قد فات وانقضى !

فكررت سوزانا كلامها قائلة :

ـ هذا شىء ـ ملعون ـ انه يذكرنى بما أريد أن أنساه ! انه لا يصلح الا للنار .

ـ يا الهى ، انت متشددة جدا ! مالك تستعملين هذا الكلام ولأى غرض ، وكيف تقذفين الى الجحيم بأطفالك الأعزاء الأبرياء الذين فقدتهم ! وحقى أن هذا ليس من الدين فى شىء !

دست سوزانا وجهها فى الفراش ، وهى تنتحب قائلة :

ـ أوه كفى ، كفى ! ان هذا الكلام يقتلنى !

وظلت مضعضعة بتأثير أساها ، ثم ارتمت راكعة على ركبتيها .

فقالت مسز ايدلين ساخطة ناقمة :

ـ سأقول لك ، لابد منه ، يجب ألا تتزوجى الرجل مرة ثانية ! انك ما زلت تعشقين الرجل الآخر

ـ نعم ، لابد ـ اننى أصبحت له فعلا .

ـ اف ، سوف يبقى قلبك مع الرجل الآخر . اذا كنت لا تحبين الارتباط بالزواج مرة ثانية ، فلا تفعلى ، لكى يرتاح ضميرك المعذب . وعلى أى حال فهذه مسألة تخصكما أنتما الاثنين .

ـ ان ريتشارد يقول أنه سوف يردنى اليه مرة ثانية ، ولابد لى من الذهاب معه ! ولو كان رفض عودتى ، لما كان من واجبى أن أنفض يدى من ( جود ) وأتخلى عنه . لـــكن ... ومضت تدس وجهها فى اغطية الفراش ، فغادرت مسز ايدلين الغرفة .

●

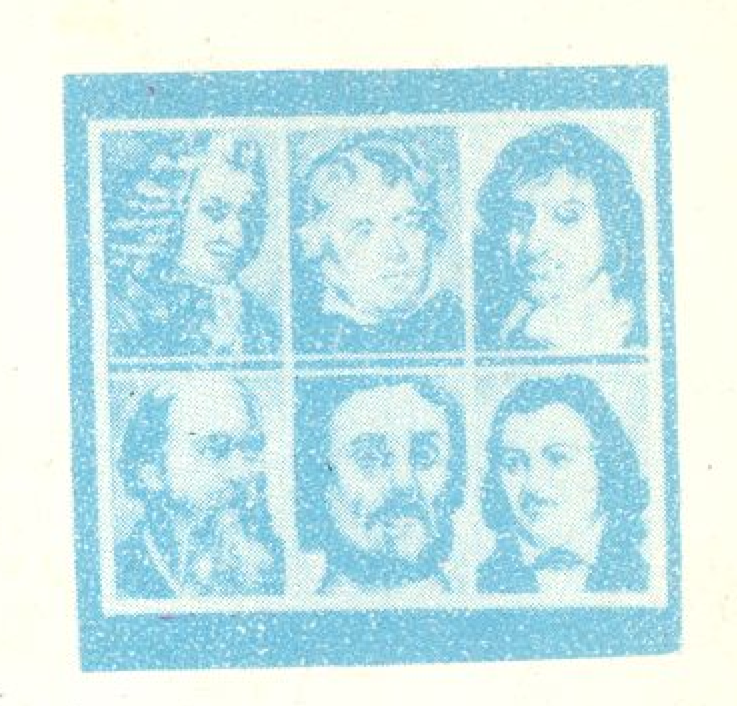
## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص • ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا : THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

---

البرازيل : M. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.



## هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب صفحات شاملة مقتطفة من أكثر من اربعين كتابا من شوامخ الكتب العالمية فى شتى مجالات المعرفة من ادب وعلم وتاريخ وفلسفة وفن وسياسة واجتماع وسير ورحلات وقصص متنوع، باقلام عباقرة الكتاب والأدباء والعلماء والفلاسفة والفنانين وأقطاب السياسة والحكم على مدار التاريخ الانسانى من عهد هومر حتى مطلع القرن العشرين منهم فولتير ، أناتول فرانس ، ديكارت ، سرفانتس ميكافيللى ، تشيللينى ، ثاكرى ، والتر سكوت ، داروين ، بلزاك ، سومرست موم ، ارنولد بنيت ، ليوتولستوى ، هنرى [illegible] جان جاك روسو ، توماس مالورى ، تشارلز ديكنز ، [illegible] جورج اليوت ، ابراهام لنكولن ، أنتونى ترولوب ، [illegible] هاردى ، وليام جيمس ، ادوارد جيبون ، ارنولد [illegible] سويفت ، تشارلز ريد - وغيرهم من الاعلام الذين [illegible] فى هذا الكتاب العالمى الجامع ..